مؤسسة الأنوار النجفية للثقافة والتنمية

المشرف العام
الشيخ علي النجفي
www.alnajafy.com

الأنوار النجفية

حسينيون.. هويتنا

السنة العاشرة العدد
١١٦عدد خاص لذكرى
شهادة الإمام
الحسين (عليهِ السلام)

التقنين الشرعي والبعد المرحلي للشعائر الحسينية.

من محاسن فقه الشرع المقدس ، انه لم يترك شاردةً وواردةً إلا و شرَّع لها، ووضع لها موازينها بمحوريها الآني والمستقبلي..

من الملفات المهمة بل والخطرة ملف الشعائر الحسينية، ومن هنا نجد أن سماحة المرجع الديني الكبير آية الله العظمى الشيخ بشير حسين النجفي (دام ظله)، أبدى اهتمامه ومنح توجيهه للمؤمنين للتشديد على أهمية وعظم ومكانة هذه الشعائر الدينية المهمة، وفي هذا الصدد قال (دام ظله):

هنيئاً لتلك النفوس السليمة التي أختارها الله سبحانه لإحياء دينه من خلال إحياء الشعائر الحسينية، وينبغي أن تكون تلك الشعائر والطقوس ضمن الإطار الشرعي بأن لا يكون فيها ما يعد محرماً شرعاً، كالاختلاط بين الجنسين، واتخاذ الغناء وسيلة لإنشاد الأشعار واللطميات، كما يجب أن لا تتضمن تلك الطقوس شيئاً مما يعد إساءة إلى الذوات المقدسة مثل التمثيليات والمسرحيات، التي يقوم بعضٌ بتمثيل الشخصيات المعصومة ومن يتلو تلوهم في العظمة وجلالة القدر فيها.

ومعلوم أن هذه التمثيليات لم تكن رائجة، وترويجها جرَّءَ أعداء الإسلام على خلق التمثيليات ورسم الصور الخيالية التي فيها إساءة للمعصومين، فعلى المنظمين للشعائر الحسينية الالتزام بالنقاط التي أشرنا إليها.

وينبغي أن يعلم أنه لا يوجد في الأعمال في الفضل والكمال والأجر الموعود مايوازي إقامة الشعائر الحسينية، ولمَّا توقف استمرار الدين ونشره وبسطه في المجتمع على تلك الشعائر وجبت إقامتها.

وعلى خطباء المنبر الحسيني حث الناس على الالتزام بالشعائر مع التقيد بالالتزام بروح هذه الشعائر، والأمل بالله تعالى أن يوفق المسلمين لإقامتها وتوسيعها وتنظيمها، وأخيراً ينبغي للخطباء والواعظين والقائمين على تنظيم هذه الشعائر إلفات الناس إلى الهدف الذي من أجله قتل الإمام الحسين (عليه السلام) وهو إبقاء الدين، والصلاة عمود هذا الدين؛ فيجب أن تنظم المجالس والمواكب والمسيرات بنحو لا تتزاحم أو تتعارض مع الصلاة، وعلى المؤمنين إقامتها أينما حل وقتها وفي كل الظروف..

كما وخصَّ (دام ظله) المواكب بكلمة خاصة لهم، فعلَّق على قوله سبحانه: (وَمَنْ أَرَادَ الآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُوراً) صَدَقَ اللهُ الْعَلِيُّ الْعَظِيم.

قد خلق الله الإنسان ومَنّ عليه بنور العقل، وبعث لهدايته الأنبياء والرسل ليهتدي من أختار الهداية، ويضل من أختار طريق الباطل، وكان من مننه سبحانه أن أوضح لنا الطريق ونصب لنا الأعلام بعد النبي (صلى الله عليه وآله)،وهم أئمة الهدى الذين سعوا (عليهم السلام) لهداية البشرية، وبذلك تمت الحجة من الله على العباد.

ولكل واحد من الأئمة موقف في بيان الحق يتميز عن إلامام آلاخر حسب وظيفته الشرعية الموكلة إليه من الله سبحانه، ضمن الظروف الخاصة به، وكان عصر سيد الشهداء الإمام الحسين (عليه السلام) قد تميز باستفحال الباطل وانحراف جل الناس عن الحق واندفاعهم إلى طاعة أولياء الشيطان، وإليه يشير (سلام الله عليه) في كلمته المأثورة الخالدة: (ألا ترون أن الحق لا يُعمل به، وأنّ الباطل لا يُنهى عنه، ليرغب المؤمن في لقاء الله محقّا)، فكانت نهضته (سلام الله عليه) لإتمام الحجة، وبين هدفه منها بقوله: (إنّما خَرجْتُ لِطَلَبِ الإصلاحِ في أُمّةِ جدّي وأبي، أريدُ أن آمرَ بالمعروف، وأنهى عن المُنكَر)، فغاية نهضته الإصلاح ضمن أداء الفريضة الإسلامية المهمة ألا وهي الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

فمن أراد أن يكون في ركب الإمام الحسين (عليه السلام) فليأمر بالمعروف وينهى عن المنكر وعليه أن يبدأ بإصلاح نفسه.

ومن أراد أن يكون من أنصاره (سلام الله عليه) فليسعَ في تحقيق هدفه،وهو الالتزام بالتقوى ودعوة الآخرين لها..

ومن يرغب أن يكون من خَدمَه (سلام الله عليه) فعليه إحياء فاجعته بكل طريق مباح.

ومن أراد أن يكون في سفينته لينجو من مهالك يوم القيامة؛ فليهتمَّ بالشعائر الحسينية ضمن الالتزام بالواجبات الأساسية ،وأهمها إقامة الصلاة في وقتها، والسعي في صياغة حياته في قالب الدين.

فهلموا شيعة الحسين إلى سفينة النجاة سفينة الحسين (عليه السلام)، وهلموا إلى مرافقة الأبرار كأنصار الحسين (عليه السلام)، وهلموا إلى المجاهدين في سبيل الله، من خلال إحياء الشعائر، وهلموا إلى كسب شفاعة الإمام الحسين (عليه السلام) من خلال خدمته.

وبعد أن قدم (دام ظله) التوجيه العام لمقيمي الشعائر الحسينية أولى سماحته أهمية خاصة لفرسان المنبر الحسيني فقال: يا فرسان المنبر الحسيني وساسة ميدان الوعظ والإرشاد والتبليغ، قد تشرفتم بحمل لقب الواعظ والخطيب والمبلغ، وهي من أعاظم الألقاب في العُرف الإسلامي وهي من شرائف المناصب الإلهية في سلم مراتب الدين الحنيف الذي جاء به الأنبياء، وكان هذا اللقب للأنبياء والرسل وخلفائهم والأئمة (سلام الله عليهم)، ومسؤوليتكم عظمى ومتاعبكم عالية وحملكم ثقيل أعانكم الله عليه، كما تنتظركم إن شاء الله الدرجات الرفيعة في يوم الجزاء، فهنيئاً لكم هذه المسؤولية وتلكم الدرجات.

وتابع (دام ظله) بعد ذلك: أن العراق سيكون مركز إشعاع العالم، تهتدي به الأمم، وتنبثق منه أنوار العلم، وترتفع أنواع الظلامات، وينبسط العدل الإلهي على البسيطة.

والعراق من حيث وضعه الجغرافي والمنابع الطبيعية الاقتصادية الهائلة، أعده الله سبحانه لهذا الشرف، والفرد العراقي يملك النير والفكر الوقاد، مما يؤهله أن يكون في مقدمة العالم كله، والعراق كان باباً ومفتاحاً لنشر الفكر الإسلامي في العالم، وسيكون كذلك في المستقبل إن شاء الله.

فعلينا أن نقوم بتوعية الشعب، ونعدّه للقيام بواجبه، وهو التمهيد للسلطة الإلهية الموعودة، ونحثّه على التقدم في العلم والمعرفة.

ومن المؤسف أن العقول العراقية مغلوب عليها اليوم، والمنابع الاقتصادية في العراق منهوبة مبعثرة بأيدي القاصرين والمقصرين.

ورغم تعاظم الميزانية بحيث تجاوزت مجموع ميزانية عدّة دولٍ في المنطقة، والفرد العراقي مفتقر إلى لقمة العيش الكريمة والبطاقة التموينية قد احتوشتها السلطة تقريباً وعوضتها ببضعة الآف من الدنانير لا تغني؛ للغلاء الفاحش وتدني العملة، والمناهج في المدارس ما زالت كما كانت، وتوزيع بعضاً من قطع الاراضي على الناس لا يحل مشكلة السكن المتفاقمة، فإن مشاكل العراق لا تحل إلا بالعقول النيرة والمخلصة للشعب والتي تتبنى سياسة حكيمة.

وقد مللنا من مواصلة النصح والإرشاد إلى المتسلطين على أزمة الأمور وقد بلغ السيل الزُبى، وقد صبغت أرض العراق بدماء الأبرياء رجالاً ونساءاً أطفالاً وشيوخاً، وصال وجال الإرهابيون في أطرافه ،يستخرجون المحكوم عليهم من السجون في مرأى السلطة، وكأنّ الجالسين على الكراسي لا شأن لهم، وبرزت بوادر محاربة السلطة للحوزة العلمية بوضع العراقيل في وجه من يؤم العراق للانتماء إلى الحوزة العلمية. فعليكم أيها الخطباء إثارة الشعب ليقول كلمته في الانتخابات البرلمانية القادمة، لتؤول السلطة إلى الأيدي الأمينة لتحفظ أموال العراق ودماء العراقيين وأعراض العراقيين وسيادة العراق، فقد تعب الشعب من المواعيد الفارغة التي تطلقها ألسنة المتسلطين على الحكم بين الحين والآخر.

ويجب أن نعلم أن كل من يشارك أو يساهم أو يرضى ببقاء القاصرين والمقصرين على السلطة فهو شريك معهم فيما يفعلون وفيما يستحقون يوم القيامة، فاحملوا هذه المعاني إلى الشعب من خلال مجالس الإمام الحسين (عليه السلام)، وانقلوا للشعب الواقع المرير؛ لنكسب بذلك رضا الله ورضا الإمام الحسين (عليه السلام)، وتبقى أمامنا كلمته الخالدة (سلام الله عليه): (إِنِّي لاَ أَرَى الْمَوْتَ إِلاَّ سَعَادَةً وَالْحَيَاةَ مَعَ الظَّالِمِينَ إِلاَّ بَرَماً).

ويجب توعية الشعب وحثه على المشاركة الفاعلة في الانتخابات، فأن العزوف عنها تمهيد لبقاء غير المستحقين على السلطة، ولابد أن يأخذ الشعب حقه وتعود الأمور إلى نصابها الصحيح، قال تعالى: (وَلاَ تَهِنُوا وَلاَ تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ الأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ)، وينبغي الاهتمام بالمجالس والاحتفاء بها، وتذكير الشعب بمواقف سيد الشهداء أبي عبد الله الحسين (عليه السلام) لنتخذ منها نبراساً، ونعاهد الله ورسوله (صلى الله عليه وآله) ونعاهد الإمام الحسين (عليه السلام) وولي الله الأعظم (عجل الله تعالى فرجه الشريف) أن نسير على هداهم، ونحيي العراق ليكون سيد العالم كما أراد الله له ذلك.

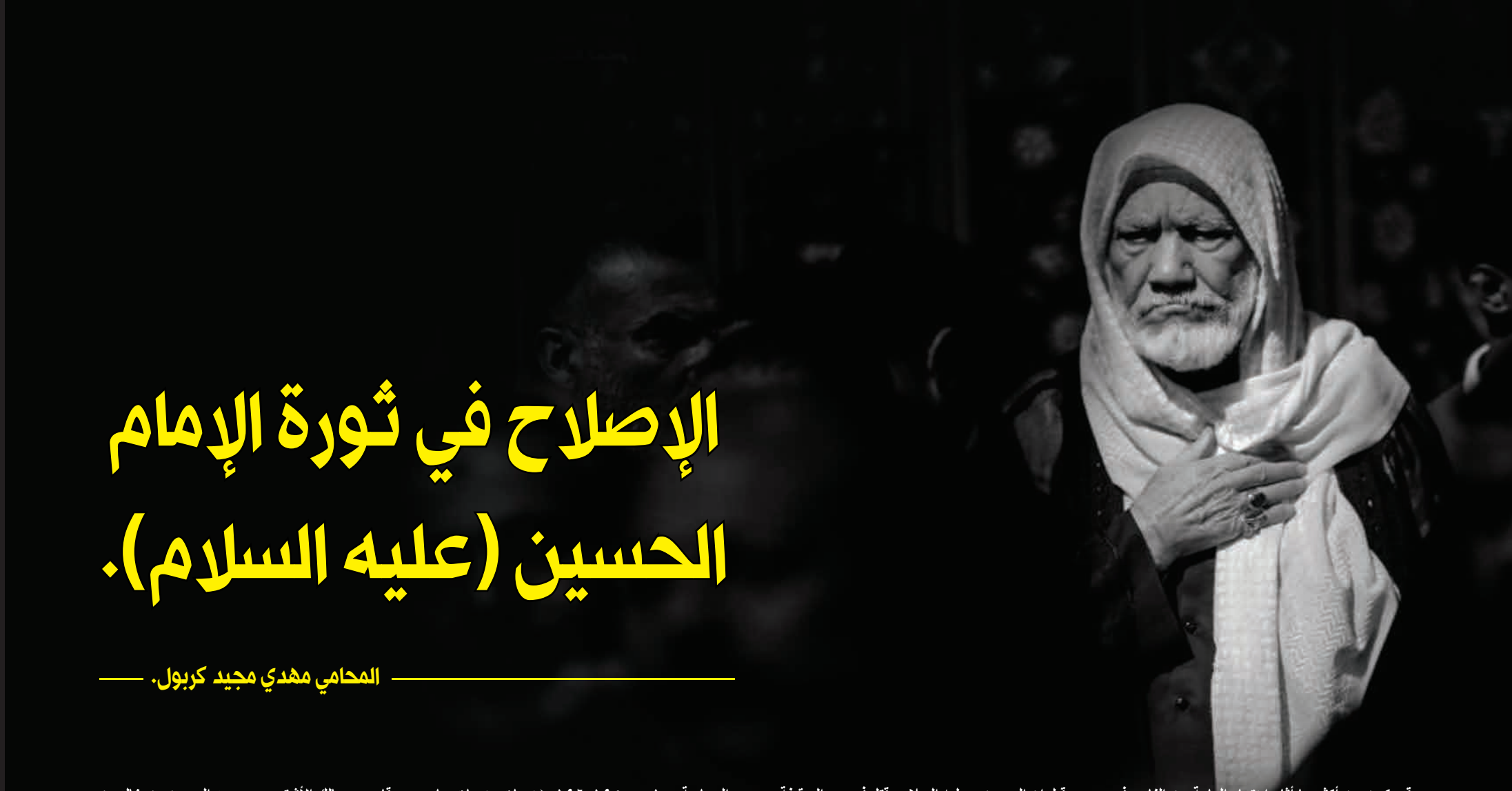

الإصلاح في ثورة الإمام الحسين (عليه السلام).

المحامي مهدي مجيد كربول.

قد يكون من أكثر ما أثار اهتمام العامة من الناس في ثورة الحسين- عليه السلام - هو الجانب القصصي؛ لما تحمله هذه الثورة من جوانب مضيئة، كالتضحية والبطولة الفذة في شخوص أبطالها وأعني بهم الإمام الحسين - عليه السلام - والثائرين من أصحابه الذين قدموا أغلى ما يملكون وثبتوا على إيمانهم مع قناعتهم باستحالة النصر العسكري وفقا للموازين العسكرية وما يؤشر له الجانب التعبوي لدى المعسكرين.

وكذلك ما صاحب هذه الثورة في الجانب الآخر من مظاهر الوحشية والدناءة والانحطاط الخلقي لدى المتسلط على رقاب المسلمين يزيد وعامله على الكوفة، وقادة عسكره، من أمثال عمر بن سعد، وشمر بن ذي الجوشن وغيرهما.

وأياً كانت تسمية ثورة الحسين - عليه السلام - تبعا للرؤى والفكر الذي يحمله الكاتب أو المؤرخ طبقا لسياسة عصره وهواه، فقد سميت بالنهضة تارة، والحركة والتمرد تارةً أخرى،ولكنها في حقيقة الأمر لا يمكن أن تعدو كونها ثورة؛ لأن الثورة تغيير جذري في كل المفاصل، وهو ما سعى إليه- عليه السلام - وهي ثورة بكل المقاييس طبقا لأهدافها وما أفرزته من آثار ونتائج ايجابية واسعة النطاق، حيث لم تحظ أيَّ ثورة على امتداد العمق التاريخي للإسلام بما حظيت به ثورة الحسين- عليه السلام - من اهتمام وبحث وإن كان سلبيا أحيانا لأمور لا يمكن أن يجهلها القارئ المنصف والمتتبع المحايد، ولعل الجانب الإنساني والقيم التي نادى بها - عليه السلام - قد أبقت هذه الثورة حيةً رغم مرور الزمن وتقادم الأحداث، وكتب لها البقاء في حين اندثرت معالم كل الثورات الأخرى مع تفوقها بالعدد ومساحة التأثير الوقتي، واختلفت معها في نيل الهدف وتجرد القائد من كل المصالح عدا الإصلاح الذي كان عنوانا لثورته - عليه السلام - وهو واضحٌ من جوابه - عليه السلام - لأخيه محمد بن الحنفية عندما حاول أن يثنيه عن الخروج للعراق بعد أن غدروا بأبيه وأخيه فقال - عليه السلام -: (إني لم أخرج أشراً ولا بطراً ولا مفسداً ولا ظالماً، وإنما خرجت لطلب الإصلاح في امة جدي محمد صلى الله عليه وآله، أريد أن آمر بالمعروف وأنهي عن المنكر، فمن قبلني بقبول الحق فالله أولى بالحق، ومن رد عليَّ بهذا، أصبر حتى يحكم الله بيني وبين القوم بالحق، وهو خير الحاكمين).

لقد خرج الحسين - عليه السلام - لينتشل الأمة من أودية سحيقة للظلم والجور وإعادتها إلى مسار العدل الإلهي بعد أن ارخص دمه زهيداً في سبيل تحقيق هذا الهدف السامي، ولعلي لاأجانب الصواب أن قلت بأن هناك مقدمات ساهمت وبشكلٍ فاعلٍ في الاعتداء على حرمة رسول الله بقتل أبنائه وسبيِ عياله ولست في مجال الحديث عنها في هذا البحث الموجز.

وقيل إن الحسين - عليه السلام - قتل في يوم السقيفة، يوم غصب حق أمير المؤمنين - عليه السلام - وهو منشغل بتجهيز رسول الإنسانية ،وابتدأت الفرقة والصراع وانحاز بعضهم إلى القيم الجاهلية متناسين غضاضة الإسلام، وتلك حقيقة لا يمكن طمسها وإن اجتهدت الأقلام في إبعاد أهدافها عن العامة، فهي لابد أن تظهر لأنها لا تدوم في فنائها ولا تنام طويلا وإن كانت تلك المحاولات ولقرون عديدة لم تألُ جهداً في إخفاء سيرة الطهر والنقاء.

إن ثورة الحسين - عليه السلام - بكل معانيها واختلاف قراراتها أصبحت مثالاً يحتذى به؛ لأنه جاء كاملا مؤطراً باشراقات فوق المستوى المألوف من القيم السائدة؛ كونها لم تستهدف مغانم أو مطامع شخصية، وإنما استهدفت تحرير المجتمع وكسر حاجز الخوف الذي تنامى بسبب سطوة الحاكم وبطش أدواته. ورغم أن تاريخ أمتنا النضالي تأريخ مضيء عبر العصور؛ لأن الثورات فيه كانت دائما تعبيرا تلقائيا عن وجدان هذه الأمة، إلا أن ثورة الحسين- عليه السلام - كانت تقف على رأس هذه الثورات، فهي رأس الحرية في التاريخ الثوري، وهي الثورة الأولى التي عبَّأت الناس ودفعت بهم في الطريق الدامي الطويل، طريق النضال بعد أن سلط الأمويون سلاح اليأس باستخدام الدين لقتل روح الثورة وتحطيم ما لأعدائهم من سلطان روحي على المسلمين وكان ذلك في عهد معاوية وكما ذكر ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة ٦١/٤: (أن معاوية وضع قوماً من الصحابة وقوماً من التابعين على رواية أخبار قبيحة في الإمام علي - عليه السلام - تقتضي الطعن فيه، والبراءة منه، وجعل لهم على ذلك جعلاً يرغب في مثله، فاختلفوا في ما أرضاه، منهم أبو هريرة، وعمر بن العاص، والمغيرة بن شعبة، ومن التابعين عروة بن الزبير)، فهؤلاء ومن على شاكلتهم الذين ابتاعوا دنياهم بدينهم، حاولوا أن يجدوا لمعاوية تبريراً لسلطانه، لقد رأى الحسين - عليه السلام - منهج معاوية في تجويع واضطهاد الأمة والتنكيل بها لمخالفتهم سلطانه، وتحريفه للإسلام ومبادئه، ومحاولة إفساد المجتمع وإخضاع الحسين - عليه السلام - شخصيا لسلطانه؛ لأن خضوعه يؤمِّن له انقياد الأمة، فاستعصى عليه ذلك لأن الحسين - عليه السلام - واعٍ لدوره التاريخي الذي لا يمكن أن يصلح بالكلام بعد أن ماتت النفوس وتخدرت الضمائر، فلا بد من هزة عنيفة تعير عن شعور الملايين من الأمة المضطهدة. ولكن الثورة لم تحدث في زمن معاوية لأسباب موضوعية مع توفر مبرراتها بعد استشهاد الحسن - عليه السلام - وهو ما نقرأه واضحا في جواب الحسين- عليه السلام - لمعاوية بعد أن أرسل له كتاباً يطلب منه البيعة وكما ورد في كتاب الإمامة والسياسة ج١ ص١٩٥-١٩٦ (هيهات هيهات يا معاوية! فضح الصبح فحمة الدجى، وبهرت الشمس أنوار السرج، ولقد فضلت حتى أفرطت، واستأثرت حتى أجحفت، ومنعت حتى بخلت - وجرت حتى جاورت، ما بذلت لذي حقٍ من اسم حقه بنصيب، حتى اخذ الشيطان حظه الأوفر،ونصيبه الأكمل)).

لقد حاول معاوية أن يقيد الحسين - عليه السلام - ببيعة يزيد فلم يفلح، مع انه حرم بني هاشم من العطايا: تريد أن توهم الناس في يزيد؟ كأنك تصف محجوبا أو تنعت غائبا، أو تخبر عما كان مما احتويته بعلم خاص وقد دل يزيد من نفسه على موضع رأسه..) هذا هو رأي الإمام الحسين - عليه السلام - في يزيد: (يزيد فاسق، شارب الخمر، قاتل النفس المحترمة، معلنٌ بالفسق والفجور، ومثلي لا يبايع مثله).

من هنا ابتدأت ثورة الحسين - عليه السلام - على الحكم الأموي الفاسد، وأصبح الأمل في التغيير حياً نابضاً ترنو إليه النفوس، وتشخص ليومه العيون، فانبرى الحسين - عليه السلام - لذلك بعد أن وجد نفسه وجها لوجه أمام دوره التاريخي، وبعد أن أرسل إليه أهل الكوفة كتاباً: إنا قد حبسنا أنفسنا على بيعتك، ونحن نموت دونك، ولسنا نحضر جمعة ولا جماعة بسببك..

ولم يعد خفيا أن الأمة تخبطت في مفاهيمها، يقودها الجهل حيث الشراك، ويستحوذ عليها الطمع حيث الذلة تحركها أصابع الحقد الأموي ومكر دهاقنة الشر في بلاطه، سمتها الإذعان للحاكم، خصوصا وأنه جرب ولأكثر من مرة هذه الأمة وحركها حيث تسير دون أن يرفع احدهم أصبعا في وجهه، فسبق لمعاوية أن قتل حجر بن عدي وأصحابه الآمرين بالمعروف الناهين عن المنكر، وقتل عمر بن الحمق صاحب رسول الله صلى الله عليه وآله، وقتل الحضرميين من أصحاب الإمام علي - عليه السلام - بعد أن سلط عليهم ابن سمية، كل تلك الموجات العاتية من موجات الإرهاب الأموي لم تحرك المجتمع، ولم تجد منه استنكارا لعمل الحاكم؛ فركب جهله وتمادى في غيه ونقض عهده، فكان لابد من الإصلاح ومناجزة يزيد، ولعل من أهم شعب الإصلاح في ثورة الحسين - عليه السلام - هو إصلاح الوضع النفسي والاجتماعي للمجتمع الإسلامي آنذاك، بعد أن ماجت الفتن وتغيرت النفوس عقب سلسلة من الحروب في الجمل وصفين والنهروان، وما آلت إليه قضية التحكيم بما أفرزت من سلوكياتٍ شاذة، وتفسيرٍ للدين وفق قيم الجاهلية، وما زرعه معاوية من خوفٍ في نفس الأمة، بعد سعي الحاكم في تطبيق أسلوبه الخاص في معالجة الأمور وتخلصه من خصومه قبل أن يدوي صيتهم، وبأقل ضجيج ومنها طريقة معاوية بدس السم لخصومه كما فعل مع الحسن - عليه السلام - ومع سعد بن أبي وقاص، ومالك الأشتر، ومع عبد الرحمن بن خالد بن الوليد بعد أن رأى ميل أهل الشام إليه وفق مقولته المشهورة: (إن لله جنوداً من العسل)!

ثم كانت ثورة الحسين - عليه السلام - قد نشدت إصلاح الحاكم وإعادته إلى طريق الإسلام الصحيح، فيزيد صغير العقل متهور، وكما يقول البلاذري في أنساب الاشراف: (لا يهتم بشيء إلا ركبه). فقام بتعبئة جماعية لتصحيح المسار، وتهيئة عقول الناس وقلوبهم للثورة، وهي وإن لم تحقق نصرا آنياً بنقل المجتمع إلى حال أفضل حيث بقي المسلمون وعلى حد تعبير احد الكتاب قطيعا يساق بالقوة إلى حيث يراد له لا إلى حيث يريد، ويساس بالتجويع والإرهاب، ولهذا ازداد أعداء هذه الثورة قوة على قوتهم فلم تنل منهم شيئاً. أمَا صانعوها فقد أكلتهم نارها وشملت أعقابهم مئات من السنين، فحملت إليهم الموت والتشريد والحرمان، وبذا فإن الإصلاح المباشر لم يتحقق في حال حياة الإمام - عليه السلام - لقد انحسرت العاطفة الإنسانية عن قلب يزيد وعمَّاله، ولم يتورعوا عن فعل كل منكر لتثبيت دعائم ملكهم.

لقد قارعت النهضة نمط الحكم الأموي بالثورة، وفضحت سياسته، وكان الحسين - عليه السلام - لا ينفك في كل مناسبة في التأليب على الحاكم الفاجر ونظام حكمه، ويرشد إلى ضرورة تغليب مفاهيم الدين الحنيف في اختيار الحاكم وفق الشروط المقررة في الاسلام.

كانت ثورة الحسين- عليه السلام - إصلاحية حتى على الصعيد المالي بعد أن انفرد الحاكم الأموي بالتسلط على بيت مال المسلمين، واستغلَّ الدين لإيهام الناس بأنه يحكم وفقا للتفويض الإلهي من اجل كبح جماح الناس، وجعل أية ثورة أو اعتراض انما هو عمل منافٍ للدين، واستعانوا بوضع جملة من الأحاديث الموضوعة على رسول اللهصلى الله عليه وآله على يد تجار الدين يحدثون الناس بها في الخطب العامة والخاصة، وأصبحوا من جهاز الدولة الإعلامي الرسمي؛ مما حدا بالناس أن يؤمنوا بالحكم الأموي إيماناً غيبياً وتقبل ما يلقى دون مناقشة.

لقد استطاعت هذه الثورة أن تغير واقع المجتمع الذي انفجرت فيه، وإن كان بعد حين حيث أسقطت خصومها تباعا بعد أن كان قادة المجتمع قبلها يتقاعسون عن أيِّ عملٍ ايجابي لتغيير واقعهم المر ،وهو حال عامة الناس الذين ماتت قلوبهم قبل ضمائرهم.

لقد استطاعت ثورة الحسين- عليه السلام - أن تؤجج الجذوة النضالية في نفوس المجتمع، ودفعتها للقيام بما يحفظ كرامتها، وحطمت زيف الإطار الديني للأمويين، وأحسنت بناء الشخصية المسلمة ورد اعتبارها.

العلامة والباحث والمحقق الكبير السيد سامي البدري (دامت الطافه)

في حوارٍ عن النهضة الحسينية خلفيات ونتائج:

الحسين (عليه السلام)يدرك أن كبار الأمة من الصحابة والتابعين ينظرون إليه ويتطلعون إلى موقفه وحركته.

الكوفيون هم القاعدة الشعبية المخلصة للحسين (عليه السلام)

لئن سكت الإمام الحسين - عليه السلام - في زمن معاوية لأسباب، فإنه لا مبرر لسكوته بعد موت معاوية.

كسر الإمام الحسن - عليه السلام - بالكوفيين الطوق الإعلامي الذي فرضه معاوية على مشروع علي - عليه السلام -..

دراسة النهضة الحسينية من الناحية التاريخية والسياسية، والظروف التي كانت سبباً في قيام هذه النهضة، هل شكلت هذه النهضة مشروعاً فكرياً وسياسياً متكاملاً؟ وما هي معالم هذا المشروع..؟ هل حققت هذه النهضة نتائج خلال السنوات التي تلت قيامها؟ كثرت الكتابات عن هذا الموضوع ، بيد أن حوارنا مع آية الله العلامة السيد سامي البدري قد مازج فيه التاريخ بالسياسة بتحليل معاصر،سلّط فيه الضوء على هذه الاسئلة وغيرها،فأهلاً وسهلاً به ضيفاً كريماً على قراء (الأنوار النجفية) الكرام.

حاوره: مهدي الفحام

الأنوار النجفية: ما خلفيات النهضة الحسينية؟

نريد بخلفيات النهضة الحسينية الحوادث التي تعيننا في فهم أهداف نهضة الحسين في وجه بني أمية، وتوضح الموقف الحاقد اللئيم الذي برز من بني أمية إزاء الحسين وأهل بيته - عليه السلام - هذا الموقف الذي يعبر عنه القرآن الكريم في قوله تعالى: (وَإِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ لا يَرْقُبُوا فِيكُمْ إِلاً وَلا ذِمَّةً).

هذه الخلفيات منها ما هو قريبٌ جدا من النهضة الحسينية، وهي حوادث انقلاب معاوية على الحسن - عليه السلام - ونقضه العهد معه بنقض كل شروطه سنة خمسين للهجرة، وترويعه شيعة علي وملاحقتهم ومنعهم من ذكر فضائل علي أو التعبد على طريقته التي هي طريقة النبي صلى الله عليه وآله، وإغراق الأمة بالأحاديث الكاذبة التي تفضل بني أمية وتشيّد إمامتهم الدينية.

ومن هذه الخلفيات ما يرجع إلى انقلاب قريش المسلمة على عليٍّ - عليه السلام - ونقض بيعة الغدير، وإحداث اجتهاداتٍ في الدين وبدع فرضتها على المسلمين بالقهر والإرهاب، ثم نهضَة علي - عليه السلام - سنة ٢٨ هـ باحيائه حج التمتع الذي نهت عنه السلطة القرشية ، ثم واصل إحياءه للسنة النبوية حين بويع بعد قتل عثمان، ومن هذه الخلفيات ما يتصل بعهد النبوة والرسالة، ومعركة النبي مع قريش المشركة التي ابتدعت أموراً في دين إبراهيم، وابتداعهم هذا لابد من بحثه في حقبته التاريخية التي بدأت قريش فيها بالظهور على عهد قصي، وهذه هي الخلفية الأبعد ولكنها مهمة جدا في توضيح النهضة الحسينية وطبيعة الحقد الأموي على آل محمد صلى الله عليه وآله.

الأنوار النجفية: سماحة السيد هل يمكن أن تلخص لنا هذه الخلفيات؟

أنشأ قصي التجمع القرشي في ظل دين إبراهيم وانتظار بعثة النبي الموعود في مكة حين استلم ولاية مكة من خزاعة، وكانت بيوتات فهر الجد العاشر للنبي متفرقة في مكة فجمعهم حول البيت فسموا قريشا ولقب قصي بمجمِّع، وكان قصي زعيماً سياسياً وإماماً دينياً على ملة إبراهيم عليه السلام، عنه يأخذ الناس أحكام دين إبراهيم والمناسك، وهو أساساً احد أوصياء النبي إبراهيم من ذرية إسماعيل، فأن خط آباء النبي موحدون يمثلون (الأصلاب الشامخة) في أدب الزيارة في الحسين - عليه السلام -. يحملون نور النبي كابرا عن كابر، وأوصى قصي بالزعامة الدينية والسياسية من بعده إلى ولده عبد مناف الذي حمل نور محمد صلى الله عليه وآله في صلبه، ثم ولد عبد مناف هاشم والمطلب وكانا يداً واحدة، وعبد شمس ونوفل وكانا يدا واحدة، وأوصى عبد مناف بالزعامة الدينية والسياسية إلى ولده هاشم الذي حمل نور محمد صلى الله عليه وآله في صلبه، وسنَّ هاشمٌ لقريش رحلتي الشتاء والصيف، وأثرت بسببهما وصارت لهم علاقة مع الملوك، ووُلِدَ له نضلة وأسد أبو فاطمة زوجة أبي طالب، ثم ولد عبد المطلب، وأوصى هاشم إلى أخيه المطلب ريثما يكبر ولده عبد المطلب لأن نور النبي في صلبه، ثم أوصى المطلب إلى عبد المطلب، كما وبرزت شخصية عبد المطلب وزاده الله تعالى شرفاً إلى شرف إبائه، وأيده بحفر زمزم، ولما غزا أبرهة البيت دعا عبد المطلب قريشا أن يقاتلوا أبرهة فرفضوا وتهاربوا إلى الجبال، وبقي هو وبنو المطلب معه، ورد الله تعالى عنه كيد جيش أبرهة صاحب الفيل، ويعتبر ذلك تأييداً إلهيا واضحاً على إمامته وزعامته وأولويته بإبراهيم وبيته، وكانت قريش تسميه إبراهيم الثاني في إمامته الدينية وسننه، بعد ذلك أوصى عبد ا لمطلب إلى ولده أبي طالب وكلَّفه برعاية النبي (صلى الله عليه وآله)، ثم انقلبت قريش من خلال بني أمية الذين برزت منهم وجوه حسدت بني هاشم وتاقت أنفسهم إلى الزعامة، فقالوا أن قريش كلها أولى بإبراهيم وأولى بالبيت وسمت نفسها (آل الله)، وتبنت خدمة الأصنام لكسب قبائل كنانة وخزاعة، ثم ابتدعت في دين إبراهيم بدعة جديدة هي بدعة الخمس، وكان من أحكامها أن لا يقفوا مع العرب في عرفة، لأنهم أهل الحرم، وفرضوا على الحجاج أن يطوفوا بثياب قرشية وإلا فأن حجهم غير مقبول.. وهكذا فأنهم انتحلوا الإمامة الإبراهيمية التي وصلت إلى عبد المطلب وأيده الله فيها بمؤيدات أعظمها حفر زمزم وكانت قد طمّت من زمن جرهم، ولم تهتدِ إليها خزاعة فبقيت مطمومة حتى أظهرها عبد المطلب بوحيٍ الهيٍ له في النوم، ثم بعث الله تعالى نبيه محمداً صلى الله عليه وآله رسولاً إلى أهل مكة ليجدد دين إبراهيم وليحرره من بدع خزاعة وقريش المشركة، ويعيد إمامة إبراهيم إلى ذرية أبي طالب وصيّ عبد المطلب، وكافل الرسول وحاميه علي الذي رباه النبي تربية خاصة منذ ولادته ، واصطحبه إلى غار حراء وعمره ست سنوات، واستمر يصلي معه مدة سبع سنوات، ولما كلفه الله تعالى بالرسالة سأل ربه أن يجعل عليا وزيرا له كما سأل موسى يوم كلف بالرسالة أن يجعل أخاه هارون وزيراً، وأجابه إلى ما سأل، وقال النبيُّ لعليٍّ (أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي)، بعدها تبنى بنو هاشم بقيادة أبي طالب نصر النبي وربطوا أنفسهم مصيريا به، وتبنت قبائل قريش الأخرى بزعامة بني أمية ومخزوم إيذاء النبي ومن امن به، ثم قاطعت بني هاشم ثلاث سنوات، ثم حاربته بعد هجرته إلى المدينة ست سنوات، وصالحها النبي في الحديبية ثم نقضت صلحها معه ،ثم نصر الله تعالى نبيه وفتح مكة في السنة الثامنة من الهجرة، ودخلت قريش في الإسلام طامعة خائفة ولكنها احتفظت بالحقد واللؤم عليه لأنه وترهم وقتل صناديهم وحسدوه على مقامه الذي حباه الله ورسوله به. ولما نزل قوله تعالى: (يا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ ما أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَما بَلَّغْتَ رِسالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكافِرِينَ)، في السنة العاشرة من الهجرة أعلن النبي أمام مائة آلف أو يزيدون قوله: (الله مولاي وأنا مولى المؤمنين، فمن كنت مولاه فهذا علي مولاه)، انقلبت قريش المسلمة على عليٍّ - عليه السلام - وادّعت الإمامة في دين النبي صلى الله عليه وآله وحرَّفت جملة من أحكامه، ونهت عن حج التمتع وأمور أخرى سميت فيما بعد بـ(سيرة الشيخين) تعبيراً عن إمامتهما الدينية، وصارت أساساً لمن يراد له أن يبايع على الحكم. عرضت قريش ذلك على عليٍّ بعد موت عمر في الشورى السداسية، ولكنَّ عليّاً - عليه السلام - رفض أن يعمل بسيرة الشيخين وقال: (إن كتاب الله وسنة النبي لا يحتاجان إلى أجير أحد)، ولأنه الإمام المعين من الله تعالى ورسوله، انشقت قريش الحاكمة على عهد عثمان فصارت جناحين، جناحاً حاكماً وهو بنو أمية، وجناحاً متذمراً تمثل بقبائل قريش الأخرى واستحكم الانشقاق، وهنا نهض علي - عليه السلام - لأحياء حج التمتع وأحاديث النبي في إمامته الدينية، ولما قتلت قريش عثمان بايع الناس علياً على أساس حديث الغدير، وأنه الإمام المنصوص عليه، وحاربته قريش في الجمل وصفين فقد كان في صفين كل قبائل قريش، ولم يكن مع علي إلا خمسة أنفار من قريش. استشهد عليّ - عليه السلام - بعد أن أحيا الله به سنة النبي وحررها من بدع قريش المسلمة، ولكن فئة من الناس بقيت مصرة على العمل بسيرة الشيخين فتركها وأسس التعددية المذهبية في الإسلام، وبايعت الأمة سبطَ النبي صلى الله عليه وآله ووصيه الحسن - عليه السلام - بايعوه على كتاب الله وسنة النبي التي أحياها علي - عليه السلام - وبايع أهل الشام معاوية على سيرة الشيخين على ما بويع عليه سلفه عثمان، وبادر إلى الصلح لم يستجب له الحسن، وعرض عليه أن يحكم الأمة بشروط يكتبها الحسن، ورضي معاوية ذلك،، وكان أهم الشروط هو أن يعمل معاوية بالكتاب والسنة، وأن يترك سب علي وأن لا يذكره إلا بخير، وأن يكون الأمر للحسن بعده وأن لا يروع الشيعة وغيرها من الشروط، بعد ذلك عاشت الأمة عشر سنوات من الأمان في ظل حياة الحسن ونهض العراقيون الذين انفتحوا على إمامة علي - عليه السلام - الإلهية لنشر أخبار سيرته المشرقة وأحاديث النبي فيه في بلاط معاوية وعرف الناس في الشام وغيرها أن علياً - عليه السلام - كان على الحق وأن معاوية كان على الباطل. وهو الفتح الذي حققه الحسن كما حقق جده صلى الله عليه وآله من قبل في صلح الحديبية فتحاً مماثلاً، ولم يكن معاوية ليؤمن بشروط الحسن، ولكنه اتخذ ذلك ذريعة إلى تحقيق هدف أكبر انفتح عليه فاضمر في نفسه أن يستجيب لفترة ثم يغدر، وقد تعلم ذلك من أبيه أبي سفيان لما قبلت قريش بالشروط مؤقتا لتستريح من الحرب ثم نقضت شروطها بعد سنتين، ولم يغب ذلك عن الحسن، فهو ابن رسول الله مؤسس صلح الحديبية، وهكذا نقض معاوية شروطه ودس السم للحسن وقلب ظهر المجن للعراقيين، أعلن معاوية لعن علي والبراءة منه بصفته ملحداً في الدين، ووضعت أحاديث تؤكد ذلك نظير الحديث الذي يرويه

البخاري (إلا أن آل أبي طالب ليسوا لي بأولياء)، وأن بني أمية والشيخين هم أئمة الهدى ووضع أعلامهم الأخبار الكاذبة في ذلك. نظير ما نسبوه إلى النبي أنه قال في معاوية: (اللهم اجعله هادياً مهدياً وأهد به)، وأنه قال في يزيد: (أول جيش من أمتي يغزون البحر قد أوجبوا، قالت أم حرام قلت: يا رسول الله أنا فيهم؟ قال: أنت فيهم، ثم قال النبي: أول جيش من أمتي يغزون مدينة قيصر مغفور لهم، فقلت: أنا فيهم يا رسول الله؟ قال: لا. وكان على رأس هذا الجيش يزيد).

الأنوار النجفية: سماحة السيد قدمت لنا من خلال إجابتكم تسلسلاً لخلفيات النهضة وما آلت إليه أوضاع الأمة في عهد معاوية ويزيد (عليهما اللعنة) التي تلت استشهاد الإمام الحسن ـ عليه السلام ـ، وكذلك قرأت بدقة منابع الحقد الأصلية على محمد صلى الله عليه وآله وعلى آله وعلى أجداده (عليهم آلاف التحية والتسليم)، السؤال المهم هنا: هل ظهرت رايات تدعي الإصلاح للأمة الإسلامية إلى جانب المشروع الحسيني؟ وما صفات كل راية منها؟

في ضوء معالم الانقلاب القرشي الثالث، والفتنة التي عمت آثارها لتشمل المسلمين جميعاً، فان وضع الأمة كان بحاجة إلى إصلاح ، وكانت رايات الإصلاح المرتقبة ثلاثة وهي:

١. راية عبد الله بن الزبير، وكان ابن الزبير قد برزت شخصيته في حرب الجمل حين فرضته خالته عائشة إماماً يصلي بجموع البصريين حلاً للخلاف بين طلحة والزبير، وهو يرى نفسه أفضل من معاوية فضلا عن أبنه يزيد، وشعاره في الإصلاح هو أحياء سيرة الشيخين التي تجاوزها الأمويون، والقاعدة الشعبية لهذا الشعار بشكل عام في مكة والمدينة والبصرة.

٢. راية الخوارج وشعارها أيضاً أحياء سيرة الشيخين ويضيفون إليه البراءة من علي، برزوا كراية في النهروان وبعد هزيمتهم تحول الناجون منهم ومن تخلف عن المعركة إلى خلايا إرهاب ثم إلى مجموعات ثائرة في وجه حكم معاوية في السنوات العشر الأولى من حكمه ولم تؤيدهم الأمة في طريقتهم لأنها الإفساد بعينه إذ كانوا يكفّرون من لم يكن على طريقتهم ويستحلون دمه.

٣. راية الحسين وهو بقية أصحاب الكساء وأفراد آية المباهلة أهل بيت النبي الذين شبههم بسفينة نوح وكانت له مكانة عند الجيل من عمر ثلاثين سنة فما فوق؛ بسبب ما انتشر من أحاديث النبي فيه أيام علي والحسن، وله قاعدة شعبية واسعة في الكوفة محصتهم التجارب والمحن ودفعوا الثمن غاليا لأجل الثبات على حب علي وموالاته وهم يعتقدون بإمامة الحسين بعد أخيه وأبيه.

الأنوار النجفية: هل كان الكوفيون يمثلون قاعدة شعبية صادقة للامام الحسين ـ عليه السلام ـ في مشروعه الاصلاحي؟ ما مرتكزات مبانيكم الفكرية وبحوثكم التاريخية في هذا الصدد؟ سواء أصدقت هذه القاعدة أم لم تنطبق وما ذكرنا؟

الكوفيون هم القاعدة الشعبية المخلصة للحسين ـ عليه السلام ـ للأسباب التالية:

لقد نصروا علياً في البصرة، ولولاهم لكان مسار الأمور شيئا آخر، ثم نصروا علياً في حربه ضد معاوية في معركة صفين يوم كانوا بغاة يقودهم معاوية وابلَوْا في تلك الحرب بلاءاً حسناً.

ثم ابتلوا بحرب الخوارج في النهروان وهو ابتلاء عظيم لأنهم أبناؤهم وأخوانهم وخرج الكوفيون من الامتحان ناجحين ظافرين. ثم تعبئوا بعدها لقتال معاوية ورد غاراته التي يشنها على هذا البلد أو ذاك واستشهد علي وتغيرت الظروف.

وحقق الحسن بالكوفيين كسر الطوق الإعلامي الذي فرضه معاوية على مشروع علي ـ عليه السلام ـ وحجز أهل الشام عن مشروع علي الاحيائي للسنة، ولم يكن من طريق لكسره إلا بالصلح نظير طوق قريش الإعلامي الذي طوقت به النبي صلى الله عليه وآله لم يكن له طريق إلا الصلح، وتحرك الكوفيون في سنوات الصلح ينشرون سيرة علي وأحاديث النبي فيه بين أهل الشام وعرفوا أنهم كانوا مع معاوية مخطئين في حرب علي.

ثم اكتوى العراقيون بنار غدر بني أمية ونقضهم للشروط وظلم ولاتهم عشر سنين بأشد ما يكون، حيث هجّر منهم زياد خمسين ألفاً مع عوائلهم، خمساً وعشرين ألفاً من أهل البصرة، وخمساً وعشرين ألفاً من أهل الكوفة وامتلأت السجون منهم والمنافي بسبب ارتباطهم بعلي.

مضافاً إلى ذلك كله كان أهل العراق أهل دين كما شهد لهم علي ـ عليه السلام ـ حين قال لمعاوية في رسالته إليه: (وما أهل الشام بأحرص على الدنيا من أهل العراق على الآخرة).

وكانوا أهل وفاء لعلي وفقه بمشروعه وهو مشروع النبي وأصحاب جرأة على السلطان وقد شهد لهم معاوية بذلك حين كان يلتقي بوجوه من رجالهم ونسائهم ويحاورهم كان يقول لهم :(هيهات يا أهل العراق لقد فقهكم علي فلن تطاقوا)، (لقد لمظلكم علي الجرأة على السلطان)، (والله لوفانكم له بعد موته أعجب من حبكم له في حياته).

كما شهد لهم الحسن أنهم الحافظون حوزته وذماره والمانعون المعتدي عليها، حيث قال حين فارقهم ورحل عنهم إلى المدينة بعد الصلح متمثلاً بهذا البيت من الشعر :

وما عن قلى فارقت دار معاشري
هم المانعون حوزتي وذماري

وشهد لهم أيضاً عبد الله بن الزبير وهو يبغضهم حين شكى له معاوية أمر الحسن ـ عليه السلام ـ وعدم تردده عليه وزيارته إلا مرة واحدة حين قدم إلى المدينة سنة ٤٤ هجرية قال له: والله أن أهلَ العراق لأبر بهِ من أمِّ الحوار بحوارِها (الحوار ولد الناقة).

وشهد لهم الواقع التاريخي للسنوات العشر (٤٠-٥٠ هـ) سنوات الأمان والاختلاط مع الشاميين سواء داخل الشام أو خارجها، أن رسالتهم في الحياة كانت التبشير بإمامة علي الإلهية ونشر أخبار سيرته المشرقة.

وشهدت لهم الأمة للسنوات الأربع بعد وفاة الحسن (٥٠-٥٣هـ) ونقض معاوية لشرطه في علي أن لا يذكره بخير أنهم وقفوا بوجه الإعلام الأموي حين أعاد لعن علي يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر بقيادة حِجر بن عدي وأصحابه، ودفعوا الثمن غالياً من أجل ذلك حتى أمرهم الحسين ـ عليه السلام ـ بعد قتل حجر بالانسحاب من الميدان يدخرهم ليوم قادم ينهض فيه.

وشهد لهم أهل المدينة أنهم كانوا على اتصال مستمر بعد ذلك مع الحسين ومراجعته حتى منعهم الوليد بن عتبة من زيارته سنة (٥٨ هـ) وقال له الحسين: يا ظالماً لنفسه عاصياً لربه علام تحول بيني وبين قوم عرفوا من حقي ما جهلته أنت وعمك)؟

الأنوار النجفية: ذكرتم أن بوادر عملية الإصلاح التي حدثت في تلك الفترة كانت على ثلاث رايات، الزبيرية والخوارج وراية اصلاح للامام الحسين ـ عليه السلام ـ والسائل يبحث عن ـ أي من هذه الرايات التي ـ استقطبت القاعدة الكبرى؟

ليس من شك أن التغيير على طريقة الخوارج ليس له قاعدة شعبية، لأن الأمة تراهم مفسدين وهو كذلك وقد سماهم النبي صلى الله عليه وآله (بالمارقين).

أما التغيير على طريقة ابن الزبير فهو وأن كانت له قاعدة شعبية في مكة والمدينة بحدود لا بأس بها إلا أنه لن يجرؤ أن يتحرك مع وجود الحسين ـ عليه السلام ـ، لأنه على يقين أن الحسين سوف لن يؤيده ولا شيعته ذات العمق والأصالة في الأمة. مضافاً إلى أنه ابن أبيه الذي خرج طلباً للسلطة لا غير مع طلحة وعائشة في البصرة.

أما التغيير بقيادة الحسين فهو المتعين لأن النبي أخبر أمته بشهادته وهو دليل على نزاهة حركته وقيامه لله، ولأن قاعدته الشعبية أوسع وهي ممتحنة عاشت حالة تحدٍ واضحة أيام معاوية، ولئن سكت الحسين زمن معاوية لأسباب فأنه لا مبرر لسكوته بعد موته إذ لا عهد له مع يزيد، وهكذا يتعين الحسين ـ عليه السلام ـ مصلحاً للأمة من فسادها وللدين من تعطيله وتحريفه، وليس أمام الحسين إلا فريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر التي أماتها بنو أمية، يمنحها الحياة من جديد لتتحرك الأمة بها وتقتدي بالحسين مواجهة بني أمية لإزالتهم.

والحسين يدرك أن كبار الأمة من الصحابة والتابعين ينظرون إليه ويتطلعون إلى موقفه وحركته.

الأنوار النجفية: فما خطة الحسين للاصلاح وما منهجه؟

لخص الإمام الحسين منهجه الإصلاحي خطةً ومضموناً في وصيته التي كتبها لأخيه محمد بن الحنفية: (إني لم أخرج أشراً ولا بطراً ولا مفسداً ولا ظالماً)... فأنه في هذه الفقرة شخص طريقة خروجه ونهضته وأنها سوف لن تكون على طريقة طلحة والزبير، لأنه خروج اشر وبطر من دون دواع ومسوغات صحيحة، ولن تكون على طريقة معاوية حين تمرد على علي لأنه كان ظالما له وهو في خروجه ليس ظالما ليزيد، ولن تكون على طريقة الخوارج لأنهم كانوا مفسدين في الأرض.

(وإنما خرجت لطلب الإصلاح في امة جدي): ليس من شك أن هناك فساداً أصاب الأمة، وحيفاً وظلماً في توزيع الثروات وفي الأمان وفقدان الحريات ولا بد من إصلاحه. وفساداً إصابة الدين وأعظم فساد فيه ما أصاب العقيدة بالإمامة حين حرفها بنو أمية من عقيدة بأهل البيت ـ عليه السلام ـ خلفاء الله وخلفاء رسوله يقودون الناس إلى الله إلى عقيدة بني أمية خلفاء لله ولرسوله وبدلوا الولاء والمحبة لعلي الذي فرضه الله ورسوله إلى لعن وبراءة وعداوة من خلال الأحاديث الكاذبة التي وضعوها، (أريد أن آمر بالمعروف وأنهى عن المنكر)، الدين فرض الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وجعله أفضل الجهاد، وشخصية الحسين لا ينافسها احد في الدين ولا في العلم ولا في القاعدة الشعبية التي يمتلكها في العراق وغيره. والأعناق تشرنب إليه في النهوض بهذه الفريضة.

(وأسير بسيرة جدي وأبي علي بن أبي طالب)، لا يشك احد أن الحسين اعلم بسيرة جده من كل احد، واعترف الجميع أن علياً حين نهض أحيا سنة النبي سواء في الحج أو في الطلاق أو في العدل، فأن عبد الله بن عمر يشهد بان موقف علي في إحياء حج التمتع هو الصحيح وأن أباه رأى رأياً في حج التمتع وهو لا يوافقه عليه، وهكذا في الصلاة فقد قال لقد صلى بنا علي صلاة كدنا ننساها.

ونهض الحسين ـ عليه السلام ـ بعهدٍ معهود من النبي لإحياء إمامة علي ولايته الإلهية التي حولها بنو أمية إلى براءةٍ منه ولعن، وأحيت بدعة قريش المسلمة واحتكرتها لنفسها.

(فمن قبلني بقبول الحق فالله أولى بالحق)، وذلك لأن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مما حث الله تعالى عليه ووعد لمن قتل آمراً بالمعروف ناهيا عن المنكر الجنة، وبالتالي فمن آزر الحسين في نهضته يكون قد لبى دعوة الله تعالى واستحق الجنة.

(فمن رد علي هذا اصبر حتى يحكم الله بيني وبين القوم الظالمين)، يشير الحسين في كلمته هذه انه أولاً يرفع شعاراً قبل أن يرفع سلاحاً، وهذا الشعار هو أنه لا يبايع ومن حقه أن لا يبايع لأن الشخص المطروح للحكم ليس أهلاً باتفاق أهل المناهج المختلفة، ويدعو الأمة أن تسحب ثقتها من يزيد وبني أمية، ومن ثم لابد من الإطاحة بهم وتحرير الأمة من سيطرتهم ثم يترك الخيار للأمة لتبايع من تراه أهلاً للإصلاح. وقوله (اصبر) معناه انه سوف يبقى على شعاره في إنكار المنكر لا يتراجع عنه كما قال في موضع آخر (لو لم يكن لي ملجئاً في الدنيا ما بايعت يزيداً).

الأنوار النجفية: بعد مضي أكثر من أربعة عشر قرناً على نهضة الإمام الحسين ـ عليه السلام ـ فماهي الأهداف ومنهجها في التغيير كما يراها سماحتكم؟

استهدف الحسين ـ عليه السلام ـ هدفين أساسيين من نهضته:

الأوّل: كسر الطوق الإعلامي الذي فرضه معاوية على نهضة علي الإحيائية لسنة النبي وإحياء إمامة علي وولايته التي أسسها الله ورسوله فوصف عليا بأنه ألحد في دين الله تجب البراءة منه ومن شيعته، وبذلك سوغ لولاته أن يلاحقوا شيعة علي أينما كانوا. ولا ينكسر هذا الطوق إلا بنشر الأحاديث النبوية في حق علي التي تمنحه ولاية كولاية النبي وهو ولاية الله. ولا تنتشر هذه الأحاديث إلا بإزالة الدولة التي تتبنى التعتيم على هذه الأحاديث والمعاقبة عليها.

الثاني: فسح المجال لمن يريد من أهل المدن أن يحيا وفق تجربة علي التي هي تجربة النبي في الحكم وتقوم على قاعدة لا أكراه في الدين والتعددية المذهبية وحرية التعبير وكفالة المواطن المتدين بالدين الإبراهيمي بغض النظر عن دينه الإبراهيمي مادام يؤمن بالتعايش السلمي. ولا يتأتَّ هذا الهدف إلا بزوال الدولة المركزية ورفع الضغط والإرهاب عن الناس وتركهم وما يعتقدون.

ومن الأهداف أيضاً: اختار الحسين مكة لإعلان المشروع لأن مكة اكبر مركز لتجمع المسلمين لإيصال الدعوة إليهم..

أحيى الإمام الحسين الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وقد ندب الله تعالى إليه (وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ)، ومن يقتل وهو يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر فقد فاز بالجنة لأنها وعد الله له، وشواهد القرآن في ذلك كثيرة..

كما واختار عنواناً ولافتة لنهضته وهي رفضه للبيعة ليزيد مهما كلفه الأمر، ليس لأن يزيداً لا يصلح شخصياً لمقام حكم المسلمين فقط، بل لأن الحكم أصبح وراثياً في أسرة شخص الحاكم، وهذا مخالف حتى لسيرة أبي بكر وعمر إذ لم يجعل كل واحد منهما الملك في أسرته، وهكذا اختار الحسين شعاراً عاماً لنهضته يستقبله وينسجم معه كل مسلم على اختلاف مشربه ومنهجه.

اعتماد أهل العراق قاعدة شعبية لمشروعه بوصفهم شعباً ميزت المحن صدقَ ولائه لعلي ـ عليه السلام ـ وقد نصره في مشروعه الإحيائي للسنة وحمله عنه بفقه واستقامة، وبوصفهم الذين استهدفهم معاوية لتغيير ولائهم ومحاصرتهم بشتى الوسائل، وكانوا قد عرضوا على الحسين بعد شهادة الحسن وقتل حجر وأصحابه بالقيام ضد معاوية فأوصاهم الحسين ـ عليه السلام ـ بان يكونوا أحلاس بيوتهم لحين وفاة معاوية. فهم على موعد مع الحسين.

الأنوار النجفية: هل من نتائج تحققت في نهضة الامام الحسين ـ عليه السلام ـ وشهادته؟

أولاً: إنقاذ الكوفة من خطر تصفية وجود الشيعة فيها، وعودتها قلعةً لشيعة علي وقيامها ببقية خطة الحسين في قتال بني أمية لتفهم الأمة أن طاعتهم ليست من الدين في شيء وتجديد تجربة علي في العدل والتثقيف والتعددية المذهبية.

وثانياً: إنقاذ الأحاديث النبوية في فضل أهل البيت من الموت بموت حملتها بتمزق الدولة الأموية وانتهاء سطوتها الفكرية في العراق والحجاز مدة عشرين سنة وحركة المحدثين لإفراغ ما في صدورهم إلى الجيل الجديد.

وثالثاً: بتر الله تعالى يزيداً وذريته وانتقال الملك إلى بني مروان، وشفاء علي بن الحسين ونشر ذرية الحسين منه وبروز علي بن الحسين ومحمد بن علي وجعفر بن محمد أعلاماً للهداية وظهور حركة بني هاشم بأجنحتها المختلفة تحمل نظرية الحركة السياسية على نهج الحسين.

وأخيراً: سقوط دولة بني أمية على يد الجناح العباسي من حركة بني هاشم، وتكريس تجربة علي في التعددية المذهبية، وبروز مدرسة الإمام الصادق في الكوفة، وإظهار قبر علي وزيارته وزيارة قبر الحسين وإحياء خط علي في الفقه والعقيدة وتكوين العقل الفقهي الشيعي وتدوين الأصول الأربعمائة في ضوء صحيفة علي الجامعة في السنوات الخمسة الأولى من العهد العباسي، في قبال المدارس الفقهية الأخرى.

كربلاء في الشخصية العراقية

علي عبد الهادي المعموري/ م علوم سياسية/ جامعة النهرين

مدخل:

شكلت كربلاء بوصفها موقعا لمعركة الطف على الدوام، رصيداً لا ينفد من القيم التي رفدت الإنسانية ـ على تنوع معتقدات أفرادها. وبقيت معيناً لا ينضب ونبراساً يترسَّم الأحرار خطاهم على هديه، ورافداً لقيم الفداء والتضحية والإباء والثبات على العقيدة والمذهب، إقتداءً بأبي عبد الله الحسين ـ عليه السلام ـ.

وإذا حاولنا في هذه العجالة أن نقدم صورة عن مدى تأثير كربلاء أو تغلغلها في الشخصية العراقية، ومظاهر تأثيرها على الوعي والسلوك، ودورها ـ كموروث اجتماعي حضاري ـ في تشكيل الثقافة التي نقصد بها هنا القيم والمفاهيم وطريقة التفكير ونمط الحياة الذي يتخذه المجتمع، ندرك ونحن في هذا السبيل أن كربلاء الحسين الشهيد ـ عليه السلام ـ أكبر من أن يُحدّ تأثيرها بزمان ومكان، فهي اوسع من أن يتابع تأثيرها على المجتمع العراقي وحسب. ولكننا نريد أن نقترب من أثرها على من سكنوا وبنوا نظام حياتهم في محيطها الجغرافي، مؤمنين أن من شهد الحدث ليس كمن سمع به.

بداية: يجب أن نحدد أن المعنيَّ هنا بكربلاء هو المفهوم الذي يحيل إلى معركة الطف التي أقدم أبو عبد الله الحسين ـ عليه السلام ـ عليها بكل ثبات وإصرار مترسماً خطى والده أمير المؤمنين ـ عليه السلام ـ وجده رسول الله صلى الله عليه وآله، مصرحاً منذ بداية نهضته العظيمة انه خرج لطلب الإصلاح. واضعاً مبدءاً أساسياً لكل مصلح ينهض في هذه الأمة ـ أو غيرها. هو الثبات المقرون بالقدرة والاستعداد التامين للتضحية ضمن نية خالصة للتوجه نحو الله سبحانه وتعالى، التضحية بكل غالٍ ونفيس من الولد والصحب والنفس والأنصار.

أما فيما يخص الشخصية العراقية فإننا نؤكد أن كربلاء أبي عبد الله ـ عليه السلام ـ لم يقتصر أثرها فيمن آمن بإمامة الحسين ـ عليه السلام ـ واعتنق التشيع وحسب، بل تجاوزته إلى المذاهب الأخرى والأديان المختلفة، فكتب المسيحي والصابئي أجمل الشعر، لتفوح الكتب بحب الحسين ـ عليه السلام ـ، وترك الإمام ووالده العظيم الإمام علي ـ عليه السلام ـ أثرهما حتى في الملحدين ومن لم يؤمنوا بالله، وهنا تظهر عمومية وعالمية هذه النهضة العظيمة.

بل يمكن القول أن التوجس والخوف الذي يعيشه كل طاغية يحكم العراق من هذه الواقعة وعملهم جاهدين لطمس معالمها وإخفاء كل مظهر يشد الناس إليها خشية من أثرها في النفوس وإحياء لروح الثورة والرفض، دون أن يتمكنوا من إحداث أثر يذكر لطمس عبيرها ـ في الواقع ـ يمكن عد هذا الخوف أثراً من آثار كربلاء على الشخصية العراقية بكل جوانبها.

وسنحاول أن نقترب من موضوعنا عبر انتخاب بعض من مقترباته ومحاولة الولوج إلى فكرة واضحة تحدد بعض معالم هذا التأثير، مقتنعين أن الفعل بين هذه المقتربات علمي نظري، وإن كان غير ممكن في الواقع ارتباط الظواهر الاجتماعية مع بعضها وتأثيرها وتأثرها بكل ما يحيط بها ويتكامل معها.

١ـأثرها في اللغة

ربما تكون اللغة الآلية الأوضح التي تعبر بها الأمة عن ذاتها؛ كلاماً محلياً، وشعراً، وأدباً يحمل آمالها وطموحاتها. وإذا نظرنا إلى أثر كربلاء الحسين ـ عليه السلام ـ في اللغة في العراق، وبعبارة أكثر خصوصية أثر كربلاء في اللهجة العراقية المحلية فسنجدها طاغية وحاضرة بقوة، ففي الفصحى نجد أن الأدب العراقي يفيض لوعة وشجناً وحزناً، ولكن اللهجة العامية التي تعد نتاجاً شخصياً لتجارب المجتمع العراقي وتطوره عبر آلاف السنين ـ بحسب المختصين ـ حملت في كيانها كل المخزون العاطفي لما ألمّ بها. هنا، سنجد كربلاء واضحة في لهجة حزينة شجية التعابير، والتراكيب نهلت من الدماء التي أريقت على مذبح العدالة والحق في الطف لتأتي معبرة عن الثورة بكل عنفوانها وعن المأساة بكل فجيعتها، وأصطبغ الشعر الشعبي العراقي بالواقعة وتكامل معها حتى صار المعبّر الوحيد عن آلام الحسين ـ عليه السلام ـ وصحبه وعياله، فلا تجد اليوم، في أي رقعة من رقاع الأرض خطيبا يقرأ بالعربية مجلس عزاء للحسين ـ عليه السلام ـ إلا ويذوب الحسين بالشعر العامي العراقي لشدّة التعبير عن الأسى واصطباغ المحبة العراقية بلون الفجيعة الكربلائية كما يقول الشيخ العسيلي الخطيب اللبناني: إن كربلاء بكل ما مثلته من توق عظيم للإصلاح والعدالة، وما جسدته تضحية الحسين ـ عليه السلام ـ في هذا السبيل، امتزجت مع سنوات طوال من الظلم والجور والاضطهاد الذي حسب على هذه الأرض بسبب حب أهلها لآل البيت ـ عليه السلام ـ وامتزاج أرواحهم وتواصلها مع مآسي العترة وتضحياتهم في سبيل الله ليتحقق العدل على الأرض، فولدت نتيجة الامتزاج هذا لغة مفعمة بالشجن انعكست حتى على الموسيقى العراقية وعلى كل النتاج الثقافي المعرفي الذي يتخذ من اللغة، أو بالاقتراب منها، وسيلة للتعبير عن المخزون العاطفي.

٢ـأثرها في بناء الهوية العراقية

في الواقع، لا يسعنا أن نقدم مفهوماً دقيقاً عن الهوية في هذه العجالة دون الوقوع في تعقيدات اللغة وغموض المصطلح، ولكن نستطيع القول أن الهوية هي الشعور بالانتماء والتكامل من قبل الفرد مع مجموعة أكبر قد تكون عشيرة أو مدينة أو وطناً أو ديناً أو مذهباً ويجد الدعم والأمان من خلال تكامله مع بقية الأعضاء في هذه المجموعة، والهوية نتاج للحضارة وللتفاعل التاريخي الذي تمرّ به كل امة، وهي مجموعة من القيم المؤثرة والتعاليم الموجهة والمنظمة للحياة، وهي تستند في نموها وترسخها إلى الكثير من الأمور ومنها التاريخ ووقائعه ومحطات الانكسار والانتصار فيه. وهنا سنجد كربلاء الحسين ـ عليه السلام ـ حاضرة القوة في الهوية العراقية ـ بالرغم من اهتزاز هذه الهوية العراقية وتشضيها في الوقت الحاضر ـ وسنجدها من أقوى الروابط التي تشد العراقي إلى أرضه وتربطه بتاريخه وتمنحه الشعور بالعزة وتدفعه إلى التضحية والفداء والعطاء والبذل والغذاء. لا بل لقد لعبت كربلاء الحسين ـ عليه السلام ـ الدور الأكبر في إذكاء روح الوطنية وحب الأرض في ظل عجز الدولة العراقية طوال تاريخها الحديث وحتى الوقت الحاضر عن بناء هوية وطنية وشد المواطن إلى بلده عبر تلبية احتياجاته وأشعاره بالاكتفاء عبر الانتماء إلى هذه الهوية، الاكتفاء المادي والمعنوي على السواء الذي يدفعه إلى الاستعداد للتضحية في سبيله ولكن كربلاء الحسين ـ عليه السلام ـ عوضت هذا النقص وجعلت العراقي ـ أو الشريحة الأكبر من العراقيين بالأصح ـ على استعداد دائم للتضحية. وإنني اجزم أن ذلك الشرطي البطل الذي أحتضن المجرم المفخخ في بغداد ليبعده عن مجموع الناخبين وسار به بعيدا لينفجر معه وحده، أو أولئك الأبطال الذين تكدسوا على المجرم الآخر قرب باب أمير المؤمنين وطوقوا الانفجار بأجسادهم، إنني اجزم أن الذي دفعهم إلى ذلك لم يكن شعورهم بالانتماء إلى العراق بل شعورهم بالانتماء إلى الحسين ـ عليه السلام ـ

كانت كربلاء التي انغرست في اللاوعي حيث تكمن الشخصية الحقيقية لأي إنسان ـ كانت كربلاء الحسين بتضحياته التي منحتهم القوة الكافية والعقيدة الصلبة ليقدموا على التضحية بكل اطمئنان وقوة، وكلمات الحسين التي تدوي منذ ألف وأربعمائة عام: (هيهات منا الذلة) و(كونوا أحراراً في دنياكم).

وهكذا نرى انه لا هوية للعراقي بدون كربلاء الحسينية وخزينها الممتلئ بالعنفوان والفجيعة.

٣ـأثرها في الذات الفردية

لقد سبق القول أن الفصل بين الظواهر الاجتماعية غير ممكن في الواقع ولكنه فصل نظري، إذ من الواضح أن ذات المرء تعبر عن نفسها باللغة، والسلوك الجمعي على السواء مع بقية الأمور الأخرى. وإذا نظرنا إلى الذات الفردية للعراقي المتصل بآل بيت العصمة ـ عليه السلام ـ فسنجد أن حياته تلتقي مع كربلاء الحسين بأكثر من صورة وأكثر من طريق، فكربلاء هي المصيبة والعزاء في الحين ذاته، وهي الألم والعنفوان الأبي. العراقي يرتبط بالجانب الشخصي مع كربلاء الحسين بن علي بن أبي طالب، سبط الرسول صلى الله عليه وآله بكل ما يعنيه الأمر من كونه ديناً وعقيدة يسلكها في توجهه نحو الخالق سبحانه وتعالى، وهي كربلاء الحسين الذي اختار أرضهم دون سواها لتكون شاهداً على نهضته العظيمة وهي كربلاء التضحية المؤلمة بالأهل والصحب واعز الولد.

سيلتقي العراقي بكربلاء عندما يقدم على التضحية بنفسه، وسيلتقي بها عندما يفجع بأحبابه، فإذا فقدت العراقية وهي الأكثر قدرة على التعبير عن حزنها، ولداً رضيعاً ناحت على عبد الله الرضيع (المذبوح)، وإذا فقدت شاباً ناحت على علي الأكبر والقاسم، وإذا فقدت أخاً ناحت على العباس ـ عليه السلام ـ وإذا فقدت أباً أو أماً تذكرت مصائب زينب ـ عليه السلام ـ وخسائرها الممتدة منذ فقدها لجدها الرسول صلى الله عليه وآله ولأمها الزهراء ـ عليه السلام ـ ولأبيها أمير المؤمنين ـ عليه السلام ـ، وأخيها الحسن ـ عليه السلام ـ ثم فجيعتها الجماعية بكربلاء وسبيها فتقول العراقية بكل حرقة متعزية عن مصيبتها الشخصية بمصيبتها العامة، وهي مصيبة زينب ـ عليه السلام ـ فتهتف:

أنست رزيتكم رزايانا التي سلفت وهونت الرزايا الآتية

يبدو دستوراً وواقعاً صادقاً يسير عليه كل عراقي موالٍ ومعبراً أشد التعبير عن عمق التكامل والتواصل بين العراقي الشيعي وبين آل البيت ـ عليه السلام ـ وزينبهم الكبرى ـ كربلاء ـ وحتى في أفراحهم تراهم يقيمون المواليد لآل البيت عند عرس احدهم مستذكرين القاسم بن الحسن ـ عليه السلام ـ وعرسه الموؤد قبل تمامه، مما يجعلنا نعيد القول مرة أخرى أن كربلاء الحسين هي المصيبة والعزاء، وإنها تلتقي مع حياة العراقي بأكثر من طريق وأكثر من صورة.

خاتمة

لعل المقتربات الثلاثة التي حاولنا الولوج منها إلى عمق اثر كربلاء في الشخصية العراقية غير كافية، وهي بالعرض الذي قدمناه غير وافية، ولكن آمل أن تكون صورة أولية بسيطة قد شكلت لدى القارئ عن عمق مكانة كربلاء في وعي الأمة ولا وعيها، وبروزها في الأدب والفن والحياة، وتنقلها بين الخاص والعام، وحضورها في الفردي والجماعي في الذاتي والمشترك حتى ليصعب الفصل بين كربلاء الحسين ـ عليه السلام ـ وبين كل ما يقدم عليه العراقي وما يتعرض له من فرح أو حزن وما يجد نفسه فيه وما يجده غريباً عنه حتى أصبحت كربلاء الحسين الدليل والمقياس، والفكر والقاعدة التي توجه السلوك بالرغم من ظهور بعض السلوكيات السيئة المنفصلة عن مثالية كربلاء الفجيعة والتضحية هنا وهناك بسبب الجعل أحياناً وبسبب الفهم الخاطئ، أحياناً أخرى، وبسبب وسوسة الشيطان في أحيان كثيرة أخرى، ولكن في النهاية تبقى كربلاء الحسين الضابط الأقوى الذي يعيد الجميع إلى الطريق القويم.

رسالة الحب والإخلاص بين الشعر والإنشاد.

المحامي والشاعر حسن عزيز الكلابي.

منذ أن سقط الإمام الحسين - عليه السلام - على أرض كربلاء مضرَّجاً بدمه في سبيل الحرية والإصلاح، واضعاً مواقفه علامات نورٍ في طريق الأحرار والصالحين، انطلقت حناجر الضمائر وأقلام القلوب تواكب النصر الحسيني المبجل، ومعبرةً عن مشاعر الموالين وأفكارهم وتصوراتهم التي حانت لمواصلة طريق النصر وإتمام سيرة مسيرة الحرية.
حينئذ انبثق من ضمير الأمة شعراء كتبوا للحسين- عليه السلام - ووظفوا جهد أقلامهم لواقعة الطف المؤلمة عبر جميع العصور والأجيال التي تلت هذه الواقعة.
أما في عصرنا الحديث وقبل مائتي سنة أو اقل من ذلك، انبثق لونٌ من ألوان الشعر يسمى بـ(الشعر الشعبي) الذي جارى لهجة الناس التي غيرتها الظروف السياسية من فصحى إلى لغة عامية (شعبية)، تلك الظروف التي مرت بها الأمة العربية بشكل عام والعراق على وجه الخصوص.
ومن شعراء هذا اللون والذي برز في الماضي القريب أحد أعلام الشعر الشعبي الحسيني وهو الشاعر الكبير الشيخ (كاظم المنظور الكربلائي)، حيث ولد هذا الشاعر مع ولادة آخر جرح من جراحات جسد الحسين الطاهر - عليه السلام - ولونه لون دم الحسين - عليه السلام - في أرض الدم المقدسة كربلاء.
لقب بالمنظور لأنه سمع هاتفاً يهتف بعد صلاته يقول: (كاظم منظور) فلازمه ذلك لقباً له.
كتب المنظور في شتى مواضيع شعر الطف، كتب للنصر كتب للمأساة كتب للعبرة والعَبرة، كتب عن العزة وعاقبتها، كتب عن الذلة ونهايتها، كان للمنظور قلم رائع جداً ،كان قلماً سهلاً ممتعاً سلساً جزلاً، ينفذ إلى القلوب ويستوعب المشاعر، صوَّر معالم الطف بشكلٍ رائعٍ ودقيقٍ، حيث تطرق في شعره إلى دقائق الأمورِ وصغارِها التي حدثت في تلك الملحمة.
تميز المنظور في كتابته للشعر الرئيسي العاطفي المأساوي، ولو راجعنا شعره (رحمه الله) لوجدنا الكثير من قصائده تميزت بهذه الميزة، ولنا على ذلك شواهد ودلائل ومن تلك النصوص قوله رحمه الله في مستهل قصيدة له

جابر يجابر ما دريت بكربلة إشصار من شبوا النار

وهو يحكي لسان حال العقيلة زينب - عليه السلام - وهي تشرح لجابر الأنصاري (رض) ما جرى على الحسين وأصحابه وعياله في وقعة عاشوراء، وقد لا أكون مخطئاً إذا قلت إن أول من نظم فكرة حوار العقيلة مع جابر الأنصاري هو الشيخ كاظم المنظور.
كما يقول في مستهل قصيدة أخرى له وهو يعبر عن مدى ألم الأم التي تودع ولدها نحو الموت عبر حوارية أخرى من حواریاته، وها هو يقول عن لسان حال القاسم ابن الحسن - عليه السلام - وهو يكلم والدته رملة (رض) في هذا المقطع الشعري الرائع:

يمه أذكريني من تمر زفة شباب
حنتي دمي والجفن ذاري التراب
شمعة شبابي من يطفوها
حنتي دمي والجفن ذاري التراب

هذا ولم يكن شعر المنظور مقتصراً على التصوير المأساوي لواقعة الطف، بل إنه نظم في الشعر الحسيني الولائي والسياسي والاجتماعي وغيره، فقد كان قلمه بارعاً مُجيداً، له القدرة على التعبير عن شتى الأحداث والمواضيع.
هذا وقد شاركه في إيصال رسالة الحب الحسيني رفيق دربه وصاحبه الذي كوّن معه دائرة الرسالة من خلال ذلك الصوت العذب الرقيق، ألا وهو خادم الحسين المرحوم الرادود (حمزة الزغير)، كان الزغير رحمه الله يعطي للكلمة حجمها الحقيقي وبعدها الذي أريد لها.
والزغير في الحقبة الماضية شكل لدى الكثيرين المنشد الأول في الساحة الحسينية، وقد اجتهد (رحمه الله) غاية الاجتهاد في خدمة سيده ومولاه الحسين - عليه السلام - حيث اتضحت في نبرات صوته معالم الإخلاص والتوفيق والحب الحقيقي، والمستمع الواعي إذا استمع لذلك الصوت لابد وأن ينشد معه شاء أم أبى؛ لأن الحسين - عليه السلام - أراد لحنجرة الزغير أن تكون موفقة ومؤثرة دائماً، ولذلك ما زالت تلك القصائد عالقة وخالدة في أذهان المحبين لآل البيت عليهم السلام، يرددونها دائماً ليلاً ونهاراً، مجتمعين ومنفردين، متقربين بها إلى الله (عز وجل).
وقد أبدع الزغير في معظم القصائد التي أنشدها، ومنها على سبيل المثال: (آنه يالميمون، وليلة وداع الليلة، ويا محله الوداع بها المسية)
فهنيئاً لهذا الثنائي الرائع إبداعه وهنيئاً له إخلاصه واجتهاده ونزاهته في خدمة العترة الطاهرة - عليه السلام -.

الحسين لُغة الخلود

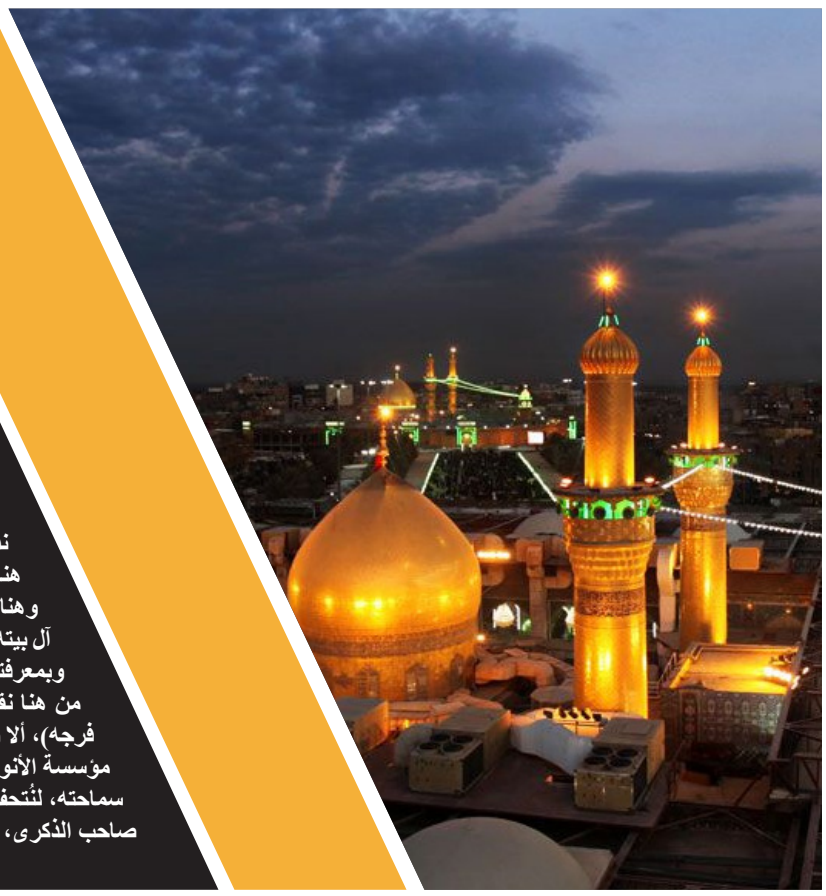

معلوم أن عاشوراء ليست بواقعة تاريخية أو ملحمة عابرة تأخذ بالوجدان وحسب، فهي ثقافة وإيديولوجيا وأبعاد تحمل في كل طياتها وجزيئات أحداثها ومواقفها جُلَ المرتكزات التي عمل عليها الأنبياء والرسل والصالحون، وذلك لتحيا وتُزرع في نفوس أتباعهم، فثقافة الشهادة والصمود والإصلاح والحب والإيثار والبصيرة والتدبير والتسليم والانقياد لأوامر السماء وو.. تعمل على إيصال المجتمع لكل مظاهر العزّة والرفعة، فمادام عبق عاشوراء والحسين في نفوس المؤمنين، كان خط الرفض للظلم ومنهاج الإصلاح يتجددان في مسيرة الأمة جيلاً بعد جيل.
من هنا نجد أن هذه الذكرى العظيمة تتأجج مع مسيرة الإصلاح الذي لاينضب على مدى أجيالٍ وشعوب، دون أن تميز أياً من الأعراق والأصول، تأخذ بطريقها نحو الإصلاح بكل صلابة وحزم، دروسٌ أخذت عِبرة وعَبرة من صُلب مسيرة الأنبياء، لتكون للبشرية جمعاء، والمائز الحقيقي يبقى لمن يتبنى مشروع الإحياء لهذه الذكرى العظيمة، فحينما يقول غاندي: على الهند إذا أرادت أن تنتصر أن تقتدي بالإمام الحسين، فهو يدرك - بمستوياته الفكرية والمادية المتصلة بالفكر اللاإسلامي - أن مشروع الإمام الحسين (عليه السلام) صالح لكل البشرية، ومصلح للإنسانية، ونبراس من لدن آدم إلى يوم فناء الأرض!
ثمة تساؤل حول مدى ما يمكن تحقيقه مستقبلاً وحاضراً من نبراس هذه الثورة الخالدة، وكيف لنا اتخاذ بذور الصحوة والعمل والجهاد لبناء الأنفس والأوطان، لنيل ثمارها وتقديمها لأجيالنا، ولنسير نحو آفاق أوسع تجاه عوالمٍ أُخَر، وبالتالي لنكون فعلاً مؤهلين وممهدين لحركة الإمام المنتظر (عجل الله تعالى فرجه).
نقول إنّ كل أعمالنا - كمؤمنين - تخضع لميزان ومقوم لنجاحها، وأن هذا الميزان بطبيعة الحال فيه كفتان (رفض وقبول)، ولنبحث هنا عن كفة القبول لها، والقبول الأعلى دون أدنى قياس هو قبول ورضا الباري عز وجل..
وهنا كيف لنا أن نصل لقبول ورضا الله عز اسمه، نقول رضا الله عز وجل برضاء النبي الأكرم صلى الله عليه وآله، ورضا النبي برضا آل بيته وخلفائه (عليهم أفضل التحيات والتسليم)، ولنحصد ثمرة هذا الرضا لابد أن نكون في رضا صاحب الأمر (عجل الله تعالى فرجه)، وبمعرفتنا برضاهم (عليهم الصلاة والتسليم) سنصل لخير دنيانا وآخرتنا..
من هنا نقول وبالتأكيد: في عصر الغيبة ما مِن مقياس واقعي يمكننا من معرفة هذا الرضاء إلا بأوصياء الإمام الحجة (عجل الله تعالى فرجه)، ألا وهم رواة حديث أئمة العصمة والطهارة، نعم إنهم مراجعنا العظام (أدام الله ظلالهم الشريفة ومتعنا بطول بقائهم)، من هنا ارتأت مؤسسة الأنوار النجفية أن تطل على القارئ الكريم بجملة من نفحات وتعاليم سماحة المرجع (دام ظله) لتسلط الضوء على بعض من أفكار سماحته، لتُتحف القارئ الكريم ونصله بعلمائنا الأعلام، ومراجع ديننا العظام، وبالتالي لنضع أعمالنا في ميزان رضا الله عز اسمه، وفي قبول صاحب الذكرى، والمعزى بها (عجل الله تعالى فرجه الشريف).

سماحة السيد رياض الموسوي وحديثه عن علاقة الإمام الحسين – عليه السلام – و الثورات الإصلاحية

حوار مع سماحة السيد رياض الموسوي.
حاوره نصير الحسناوي

جانب آخر نتوقف فيه (الأنوار النجفية) من خلال بحوثها ودراستها، محاولةً منها أن تسلط الأضواء على جوانب جديدة من هذا الملف المهم.. الثورة العربية المعاصرة أو ربيع الثورات كما يراد له أن يسمى.. جماهير انتفضت فنفضت عنها غبار السكون بعد سنوات أو عقود عاشوها تحت وصاية الطغاة.

لا... قالها شبابٌ مسلمٌ للدكتاتورية.. للظلم والاستبداد رغم فتاوى النواصب والمتطرفين من أن الثورة على الحكام تعني التمرد على مشيئة الله... والسبب في تمردهم الفطرة لإحقاق الحق وإيقاف نزيف الدم... وقطع يد الظالم... ثاروا بشعار اللاعنف.. مظاهرات سلمية.. فهل للحسين - عليه السلام - تواجد في هذا المشروع النهضوي وهو الذي وجد في ضمير جميع الشعوب المضطهدة؟ نتوقف مع الباحث الإسلامي والأستاذ في الحوزة العلمية السيد رياض الموسوي لمعرفة رأيه في ذلك؟

الأنوار النجفية:- يشهد العالم العربي والإسلامي حالة إصلاح (إذا صح هذا التعبير على ما يشهده العالم اليوم) فهل عاشوراء النموذج الأمثل للإصلاح في العالم كما تبين لكم من خلال دراسة التاريخ الإصلاحي؟ وهل التطرق للتاريخ ومواقفه وأحداثه سيؤثر بالسلب على حركة الإصلاح؟

لا يمكن أن تتم عملية الإصلاح في الوقت الراهن بدون الرجوع إلى التاريخ ومحاسبة المواقف والشخصيات التاريخية، ومن يعتقد أن نبش التاريخ وتقليب صفحاته يعود علينا بالتشنج فأنه لا يسير على جادة الصواب، نعم نحن نقول يجب أن ندرس التاريخ بصورة موضوعية وعلمية هادئة، لا أن ندرسه دراسة متعصبة أو انفعالية عاطفية.

الأنوار النجفية:- هناك من يقول: دعونا نبتر أنفسنا عن التاريخ، ونغض بصرنا عنه، ونركز على إصلاح أنفسنا استنادا إلى قوله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ لاَ يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ إِلَى اللهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعاً فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ).

هذا الاستشهاد في غير محله،فما تسالمت عليه البشرية من نبذ العنف والإرهاب ومكافحة الفساد في المجتمع نستطيع أن نستفيده من ثورة سيد الشهداء - عليه السلام -؛ لأن سيد الشهداء لم يبدأهم بقتال ولم يغلق باب الحوار مع جيش بني أمية، وتعتبر ثورة سيد الشهداء هي النموذج الأمثل والأكمل للإصلاح، ومن فوائد الإحياء العاشورائي هو الاستزادة من تجربة الإصلاح الحسيني لأي حركة إصلاح معاصرة.

الأنوار النجفية:- هل يمكن أن نجد لهذه الحركات الشبابية في (الربيع العربي) - كما يُحبون أن يطلق على حركاتهم - حضوراً أو تواجداً للفكر الحسيني؟ باعتبار أن الإمام هو منطلق لكل الحركات الإصلاحية في العصور التي تلت استشهاده؟

الحسين - عليه السلام - شعلة ونار على الجائر ولو ادعى الانتماء إلى الحسين - عليه السلام -، فبين الحسين وبين أي جائر مهما كان انتماؤه حرب ضروس إلى يوم القيامة، هذا الذي يزعزع ويقلق الدوائر المختلفة سواء كانت إسلامية في ظاهرها أو عربية أو غربية، الحسين - عليه السلام - يناشد فطرة البشر: ((وَمَا لَكُمْ لاَ تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاء وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَـذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا))، ولفظ المستضعفين هنا شامل، والآية تقول: ((وَأَنَّهُمْ لاَ يَسْتَكْبِرُونَ)) ولم تقل الآية وأنهم من المتسننين أو من المتشيعين أو المتنصرين أو المتهودين، واقع الفطرة واقع الدين هو العيش مع الفطرة كما هي بنية واقعية حقيقية، أهل البيت - عليه السلام - لا يمكن خداعهم بالشعارات أو بالإنتسابات والانتماءات بل بتحقيق الموازين الواقعية العينية: ((قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْاْ إِلَى كَلَمَةٍ سَوَاء))، فالقرآن الكريم يضع قواعد التعامل المذهبي والمللي والنحلي، كلمة سواء، فالكلمة السواء تفرض التساوي بين البشر لا من منطلق عالم مستكبر وعالم مستضعف، وفي قوى عظمى وقوى صغرى، وعالم ثالث، ومترف ومحروم، وعرقلة زيارة الإمام الحسين - عليه السلام - منذ استشهاده إلى زماننا هذا ينطلق من منطلق أن الحسين - عليه السلام - لا يحاسب عصره فقط وإنما يحاسب الطواغيت في كل زمان ومكان، ويحاسب الأعراف الخاطئة التي تولدت من تلك المدارس المنحرفة، ولذلك فإن هناك توجساً وتحسساً من قبل الظالمين تجاه مدرسة سيد الشهداء - عليه السلام -، وهناك محاولات من أجل قطع العلاقة بين الشيعة وبين الإحياء العاشورائي الذي يحرصون عليه.

الأنوار النجفية:- ولكن ربما سيقول أن هناك ثمة فارق بين الفكر الحسيني النهضوي وبين ربيع الشباب المعاصر، فما شهده العالم اليوم هو حركة إسلامية للتعبير عن رفضها للظلم والتسلط والفساد الاداري، والاستنزاف لثروات البلاد، والاستهتار بدماء الشعب، وكان التعبير لكل هذه السلبيات سلمياً.. فهل كانت نهضة الإمام الحسين- عليه السلام - سلمية رغم الدماء التي أريقت؟

اختار الإمام الحسين - عليه السلام - نهجاً سلمياً إلى آخر المطاف، وقد سطّر التاريخ لهذه الثورة بأنها لم تقع في أي مخالفة ولم تخرب أي ممتلكات خاصة، بل لم تخرب أي ممتلكات للدولة الظالمة وأعني بذلك ممتلكات المصالح العامة، ولم تخضع هذه الثورة المنفتحة لأي استفزاز من قبل الجيش الظالم، وبناءً على ذلك لم تنجر لأي عمل تخريبي، بل أن الجيش الأموي الظالم يوم عاشوراء عجز عن الإجابة على أسئلة الإمام الحسين - عليه السلام - حينما قال لهم اتطلبوني بمالٍ أو بدمٍ أو بجرمٍ اقترفته؟ فعجزوا عن تسجيل مؤاخذةٍ واحدةٍ على الإمام الحسين - عليه السلام -، وكان مسلم بن عقيل يدير الحركة الجماهيرية في الكوفة والبصرة و لم يسجل عليه التاريخ أي مؤاخذة، ومن هنا تتبين حنكة وإدارة مسلم بن عقيل الذي عبّر عنه الإمام الحسين - عليه السلام - بأنه أخوه وثقته من أهل بيته، ويجب أن نبرز جانب الحنكة والإدارة والقيادة عند مسلم بن عقيل، ولا نكتفي بجانب مظلوميته ومأساته، حيث أدار هذه الثورة لمدة ستة أشهر بكل كفاءة ودون الوقوع في فخ التعدي والظلم والاعتداء على الآخرين، سواء كانوا من الشعب أو من الحكومة، رغم وجود الجماهير المؤيدة للأمويين في تلك المنطقة مما يعني توتر الأجواء المهيأة للوقوع في ذلك الفخ، وفي المقابل نرى أن عصابات عبيد الله بن زياد تعيث في الأرض فساداً وتسفك الدماء ولا تتورع عن ارتكاب أفضع الجرائم.

مركز الاستخبارات الأمريكية... إن الشيعة لا زالوا يحتفظون بفاعلية وحركية تقاوم المخططات الغربية دون بقية المسلمين..

الحسين - عليه السلام - شعلة ونار على الجائر - ولو ادعى الانتماء إلى الحسين - عليه السلام -، فبين الحسين وبين أي جائر مهما كان انتماؤه، حربٌ ضروسٌ إلى يوم القيامة..

إن محبي الحسين - عليه السلام - على طول التاريخ لم تصدر منهم جناية على جماعة بشرية انطلاقاً من المآتم أو الحسينيات، ألا يكفيكم هذه التجربة المعاصرة التي تعرض على عين العالم اجمع؟وهي ان هواة الحسين ومحبي الحسين - عليه السلام - يمدون يد السلام في العراق وفي غير العراق، رغم سفك دمائهم وهتك أعراضهم ونواميسهم، وكلما سفكت دماؤهم مدوا يد السلام.

الأنوار النجفية:- ثمة سر وراء قوة أتباع أهل البيت - عليه السلام -، وبالتأكيد لكربلاء دور فيها، هل من وقفة مع هذا المفهوم؟

أكتفي في الجواب بذكر قراءة الدول حول كربلاء، فقد صدر عن مركز الاستخبارات الأمريكية كتاب للكاتب مونيكال براينز يذكر فيه أن الشيعة لا زالوا يحتفظون بفاعلية وحركية تقاوم المخططات الغربية دون بقية المسلمين. وإن نداءات يا حسين ويا أبا الفضل العباس قد ألهبت الشارع الجماهيري الشيعي، والشيعة تمثل القطاع الحي والنابض في العالم الإسلامي، وهم أتباع أهل البيت وأتباع سيد الشهداء - عليه السلام -، ومن ثَم، فأنه يقرر أن عنصر قوة الشيعة يتمركز في عزاء الإمام الحسين والارتباط بالإمام الحسين، وهو الذي يبعثهم على استرخاص النفس ورفض منطق العدوان

والظلم، والتحلي بالعزة والإباء والحماس والأنفة، وفي كل سنة تتجدد الطاقات من خلال الأحياء العاشورائي.

الأنوار النجفية:- هل تعتبر - سماحة السيد - أن الشعائر الحسينية سلاحٌ للشعوب المظلومة للإطاحة بالطواغيت؟

الحرب على شعائر الحسين - عليه السلام - لم تنشأ من فراغ؛ لأن هذه الشعائر سلاحٌ فعَّالٌ في وجه الأعداء في حفظ تراث الأمة الإسلامية، والتغطية والتعتيم على ثقافة سيد الشهداء - عليه السلام - عند كثير من الأنظمة العربية باعتبار أن ثقافة الحسين - عليه السلام - ثقافة مزلزلة وبركانية تؤجج حياة الشعوب، كثير من الشعوب ترزح تحت نير الظلم؛ لأنها لم تستفد من ثقافة الحسين - عليه السلام -، ولو استفادت من شعائر الحسين وثقافة الحسين - عليه السلام - لأصبحت شعوباً حرة، إذن لا مجال للتهاون في قدسية هذه الشعائر، ويجب علينا عدم التجاوب مع أي فكرة شرقية أو غربية تصدر من فضائية أو غيرها من وسائل الأعلام في التقصير في إحياء شعائر الحسين - عليه السلام - ومن الواضح أنهم لا يهتمون بمصالحنا، فالحماس في شعائر سيد الشهداء - عليه السلام - هو سلاح عظيم جداً، فالجانب الفكري في ثورة سيد الشهداء - عليه السلام - من خلال خطبه ومضامين زياراته ومعطيات نهضته هي في بالغ الأهمية والتأثير، ولكن الاقتصار عليه وإهمال الجانب الحماسي العاطفي غير مجدٍ، أما الاستهزاء والسخرية بذلك، فهو ما تعرض له جميع الأنبياء ولكنهم لم يرتابوا ولم ينهزموا ولم يتراجعوا، فينبغي علينا التفكير بعمق، وعدم إطلاق الأحكام والقرارات بشكل عفوي وسطحي، والحذر من تفريغ شعائر الحسين - عليه السلام - من الحماس الشديد بما فيه العويل والبكاء والصراخ الشديد والجزع.

الأنوار النجفية:- ولكن هناك من يرى أن الشعائر الحسينية تنشر ثقافة الكراهية؟

هناك من يثير إثارة أخرى، وهي أن التركيز الشديد على شعائر عاشوراء بهذه الطريقة تربي الإنسان على ثقافة الحقد والكراهية والانتقام والحدة، لا ثقافة المحبة والتساهل والتسامح والود والتعايش، ومثل هذه الأقاويل والإشكالات تفتقر إلى استيعاب ثقافة عاشوراء وأهدافها، ولا تفهم التحليل العميق لما قام به سيد الشهداء - عليه السلام -، إن مسيرة سيد الشهداء - عليه السلام - وأنصاره من مكة إلى المدينة إلى كربلاء كانت خالية من أي مؤاخذات أو إشارات، فأصبح الاتهام لهم بأنهم بادروا بالقتال العسكري مع الطرف الآخر، وقد مارس سيد الشهداء - عليه السلام - أفضل وأرقى أنواع التغيير، حيث بدأ بتثقيف الأمة، وهذا أسلوب حضاري عظيم، لنلاحظ خطبه التوعوية في المدينة المنورة ومكة المكرمة، حيث كان يثقف القواعد الجماهيرية، وبدأت المراسلات تأتيه من أهل العراق، بل هناك نصوص تذكر مراسلات أتته من أهل الشام أيضاً كما ينص على ذلك مقتل ابن أعثم، وأهل المدينة كانت قلوبهم مع سيد الشهداء - عليه السلام - خصوصا التابعين والصحابة وقد بايعوا أخاه الحسن من قبله، وهذا أسلوب سلمي حضاري روعي فيه حرية الإرادة لجمهور الصحابة والتابعين وسائر المسلمين، وروعي فيه عدم الرغبة في حصول خللٍ أمنيٍ وإرباكٍ لأوضاع المسلمين.

الأنوار النجفية:- أخيراً، أضاف قلمكم الكريم عدة مؤلفات في صدد تأصيل الشعائر الحسينية، ومناقشة الأدلة التي ربما تحاول أن تضعف من هذا الثابت الشامخ، بماذا تلخصون هذا المشوار الكبير؟

الشعائر الحسينية هي سرّ من أسرار بقاء الدين؛ وركيزة من ركائز حفظ الشريعة الإسلامية؛ وهي معنىً من معاني قول الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله: (حسينٌ مني، وأنا من حسين)، فلا نجد معلماً إسلامياً يجمع الأمة بأكملها، الغني والفقير، والصغير والكبير، الرجل والمرأة، الشاب والشيوخ، الأبيض والأسود.. يجمعها مثل قضية الإمام الحسين - عليه السلام -، وشعائره المختلفة..

لذا على الأمة أن تستوعب ذلك، وتتعامل مع الحسين - عليه السلام - وشعائره بهذا المستوى من الأهمية؛ وتسارع في إحياء الشعائر والمشاركة فيها، وإظهارها على أحسن وأتم وجه، وأن لا نقصّر في ذلك، ولا نتأثّر بالشبهات والأباطيل التي تظهر من هنا وهناك.

هنيئاً لكم الجنّة

كَثيراً ما شُنع على أتباع أهل البيت - عليه السلام - ومحبيهم تهافتهم وتفانيهم وتقديم الغالي والنفيس رغم كل المعانات والحواجز التي وضعها أعداء أهل البيت - عليه السلام -، بيد أن الباري (عزّ وجل)، قد جعل لهم من الفضل والكرامة ما لا يحصى ولا يُعد، فهنيئاً لأتباع آل البيت - عليه السلام - هذا الحُب وهذا التصميم على زيارة أبي الأحرار الإمام الحسين - عليه السلام -، وهنا لكي لا يكون كلامنا مصادرة على الواقع والحقيقة، نستذكر ما روي عن الإمام الصادق - عليه السلام - في حثه وترحمه على شيعته وأتباعه ومحبيه، لارتباطهم بجده أبي عبد الله الحسين - عليه السلام -، ولنترك القارئ الكريم ليقف عند هذه الكلمات الرائعة، إذ يقول - عليه السلام -:

فجاء عن الإمام الصادق (عليه السلام) إذ يقول وهو ساجد: (اللهم يا من خصنا بالكرامة، ووعدنا بالشفاعة، وخصنا بالوصية، وأعطانا علم ما مضى وعلم ما بقي، وجعل أفئدة من الناس تهوي إلينا، اغفر لي ولا خواني، وزوار قبر أبي عبد الله الحسين، الذين أنفقوا أموالهم، واشخصوا أبدانهم، رغبة في برنا، ورجاء لما عندك في صلتنا، وسروراً أدخلوه على نبيك، وإجابة منهم لأمرنا، وغيظاً أدخلوه على عدونا، أرادوا بذلك رضوانك. فكافهم عنا بالرضوان، وأكلأهم بالليل والنهار، وأخلف على أهاليهم وأولادهم الذين خلفوا بأحسن الخلف، واصحبهم، وأكفهم شر كل جبار عنيد، وكل ضعيف من خلقك وشديد، وشر شياطين الإنس والجن، وأعطهم أفضل ما أملوا منك في غربتهم عن أوطانهم، وما آثرونا به على أبنائهم وأهاليهم وقراباتهم. اللهم أن أعداءنا عابوا عليهم بخروجهم، فلم ينههم ذلك عن الشخوص إلينا خلافاً منهم على من خالفنا، فارحم تلك الوجوه التي غيرتها الشمس، وأرحم تلك الخدود التي تتقلب على حفرة أبي عبد الله الحسين (عليه السلام)، وأرحم تلك الأعين التي جرت دموعها رحمة لنا، وأرحم تلك القلوب التي جزعت واحترقت لنا، وأرحم تلك الصرخة التي كانت لنا. اللهم إني أستودعك تلك الأبدان وتلك الأنفس، حتى توافيهم من الحوض يوم العطش.. حتى قال - عليه السلام -: من يدعو لزواره في السماء أكثر ممن يدعو لهم في الأرض).

ولا يسعنا بعد هذه الكلمات المقدسة الطاهرة من سيد الصادقين - عليه السلام - إلا أن نختم بكلمات سماحة المرجع (دام ظله) إذ يقول: (اعلموا أن ردة الفعل في نشر مظلومية الحسين (عليه السلام) - يجب أن تكون بنفس الفعل أو أقوى، مادام أعداء أهل البيت (عليهم السلام) يسعون لتقليل شأن الحسين (عليه السلام).

من فكرة

سماحة آية الله العظمى المرجع الديني الكبير

الشيخ بشير حسين النجفي

دام ظله الوارف

أبرز الأخطار المحدقة بالإسلام

اليوم هي نار الفتنة، التي ينفخ فيها بعض الجهلة المحسوبين على مفكري المسلمين وعلمائهم.

الطائفية مشروع عالمي لتفريق وحدة المسلمين

الاختلاف في الفكرة لا يعتبر ـ قطعاً ـ عاملاً للتقاتل

بل هو عامِل تكاملٍ وتلاقحٍ فكريٍّ للنمو العملي في الفكر الإسلامي.

لم يشهد مفهوم الطائفية انتشاراً في العراق مثلما انتشر في السنوات الأخيرة بعد زوال النظام العفلقي الذي كان ذراعا من اذرع تنفيذ المخططات الطائفية في المنطقة فجسدها عبر أفعاله قبل أقواله، بل أن الاستكبار العالمي رعى هذه الأفكار ومدها بكل الدعم، فضلا عن الدول التي تنتشر فيها الطائفية كمفردة من مفردات حياتها اليومية، ولذا يؤكد سماحة المرجع (دام ظله) أن المسلمين يعيشون تحدياتٍ كثيرةً ومنها الطائفية والتي تدار من جهات معينة فيقول: (أن ابرز الأخطار المحدقة بالإسلام اليوم هي نار الفتنة التي ينفخ فيها بعض الجهلة المحسوبين على مفكري المسلمين وعلمائهم، تساندهم الأيادي الخفية بكل المستلزمات الضرورية من قبل الطوائف المندسة في صفوف المسلمين) وهذه الجهات كما يبينها سماحة المرجع (دام ظله) تحاول من خلال مخططاتها إلى تفريق المجتمع العراقي، مستعملةً بذلك أساليب متنوعة مما تثير الفوضى وعدم الاستقرار فيقول سماحته: (هناك من يحاول زرع الفتنة والطائفية في هذا البلد بغية تفريق أبنائه من خلال المخططات الإرهابية والتفجيرات التي تقع هنا أو هناك.. أو من خلال افتعال الأزمات لزعزعة الأمن والاستقرار في هذه البلاد، وفي جملتها ترمي إلى تمزيق لحمة أبناء الشعب العراقي، واستهداف أتباع أهل البيت (عليهم السلام) بنحو الخصوص؛ لذا نجد في كل زمان يحاول التكفيريون تشويه صورته وطمس معالمه، إلا أنه ومن نعم الله (تبارك وتعالى) أن بقيت مدرسة أهل البيت (عليهم السلام) تنشر فكرها لجميع العالم الإسلامي رغم شتى المحاولات والأساليب لطمس معالم تلك المدرسة، والتي بقيت تتواصل بنشرها للوعي الديني والثقافي في المجتمعات).

موضحاً (دام ظله) في حديث آخر أن هؤلاء الزارعين للفتن لا يتوانون عن نشر الأكاذيب وتكذيب المسلمين، متناسين الروايات التي تنهى عن ذلك، فيقول سماحته: إن سعي هؤلاء يتركز على إثارة الفتن الطائفية، وبث الفرقة وإشعال نار الفساد بين المسلمين، ولا يتوانون عن توجيه التهم والافتراءات والأكاذيب إلى المسلمين متناسين النهي الوارد عن تكفير المسلم وحرمة سبه وشتمه، وكأنهم لم يقرؤوا ما روي في الكافي للكليني (رحمه الله)، وصحيح مسلم واللفظ للأخير من قول رسول الله (صلى الله عليه وآله): (إن الإسلام بني على خمس، شهادة أن لا اله إلا الله، وأن محمداً عبده ورسوله، وإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة، وحج البيت وصوم رمضان) وهذا الحديث بتعبيرات متقاربة موجود في مصادر المسلمين، وكأنهم لم يقرؤوا ما رواه المسلمون في مصادرهم من أن رسول الله (صلى الله عليه وآله) قال: (أي ما امرئ قال لأخيه يا كافر فقد باء بها أحدهما) وفي حديث آخر قال: (أيُ ما رجل كَفَّرَ رجلاً فاحدهما كافر).

موضحاً أن من يرى في التقاطع الفكري سبباً في التكفير والقتل فرؤيته غير سديدة وسليمة، وان الاختلاف في الفكرة لا يعتبر قطعاً عاملاً للتقاتل، بل هو عاملُ تكاملٍ وتلاقحٍ فكريٍ للنمو العملي في الفكر الإسلامي مضيفاً: «يحسبون أنهم قد تمكنوا من القضاء عليه ولا يعلمون أن الله قد ضمن لهذا الدين الاستمرار والمنعة إلى أن ينجز وعده ويظهره على الدين كله ولو كره الكافرون، ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِؤُواْ نُورَ اللّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللّهُ إِلاَّ أَن يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾»، وعليه أن حرمة الدماء والمال والعرض خط أحمر، ولا يمكن انتهاك هذه الخطوط الحمر بمجرد الاختلاف بالرأي، فثمة ضوابط ـ لدى المنظومة الفكرية الشيعية ـ تشدد على أهمية حفظ الدماء، ونبذ الطائفية.

وقضية الطائفية قضية عالمية وحلها يشترك فيه الجميع انطلاقاً من مسؤوليته تجاه الدين والمجتمع، منطلقين من فكر أهل البيت (عليهم السلام)، فيقول سماحته (دام ظله): كل عقدة من العقد يجب على الكل في أرجاء المعمورة عموماً وفي العراق خصوصاً السعي في فكها من خلال الالتزام بمبادئ الإسلام وأسسه التي تدعو إلى الاحترام لحقوق الإنسان، والاحتراز من التعدي والظلم على أي احد، ومن هذا المنطلق تجب المحافظة على الدم العراقي وماله وعرضه وحق المواطنة وما تستلزمه للجميع، وقد قال أمير المؤمنين (عليه السلام) في عهده الذي كتبه لمالك الأشتر كوثيقة عمل للحكومة العادلة: الناس: صنفان ،أما أخٌ لك في الدين، أو نظيرٌ لك في الخلق. فالأخوة والمواطنة بها قوام البلد، ومعلوم أن العراق منذ زمن بعيد يجمع بين طوائف شتى وقوميات مختلفة، ولم يكن يوماً من الأيام كل المواطنين على دين واحد أو قومية واحدة، فما حدث في العراق من التشريد والإبادة والتسفير للشيعة في السابق وما زال كذلك قد تعداهم اليوم إلى الآخرين، فما يتعرض له المسيحيون اليوم في الموصل هي احدث الحلقات من تلك المظالم.

فان من يثير مثل هذه الفتن يريد القضاء على العراق وعلى وحدته وعلى مستقبله؛ لذا على المسؤولين تحمل المسؤولية الملقاة على عاتقهم، والسعي في المحافظة على الدم العراقي البريء، وينبغي أن تكون كل قطرة دم بريئة أثمن شيء وأهمه لديهم.

سماحة المرجع يؤكد خلال حديث له أن دعوة علماء الدين من مذهب أهل البيت (عليهم السلام) هي دعوة حقيقية للسلام، داعياً إلى من يكفر الآخرين من المسلمين عليه أن يراجع إسلامه، ودعا سماحته إلى سن قانون إنساني دولي يمنع الإساءة إلى مقدس ديني وإيضاح المعنى الحقيقي للحرية دون التجاوز على الآخرين فيقول سماحته: (إن دعوة علماء مذهب أهل البيت (عليهم السلام) هي دعوة للسلام ولعدم التجاوز على أي كان ومهما كان دينه أو إنتماؤه ،فضلاً عن أن يكون مسلماً، وهذه الدعوة هي من صميم الدين الأصيل، وقد انعكس ذلك قولاً وعملاً في فكر علماء أتباع آل البيت (عليهم السلام) وفي مناهجهم وآثارهم... إننا لم نجد في الماضي والحاضر من مراجعنا من أباح دماء المسلمين بعكس المتشددين بل كانت دعواتنا دائما لوحدة الصف الإسلامي ومواجهة الأخطار التي يشنها أعداء الدين، وإن من شروط هذه الوحدة أن تكون باحترام خصوصية وعقيدة كل المذاهب... أن من كفَّر أي فئة من فئات المسلمين فليراجع إسلامه... يجب أن يُسن قانون إنساني دولي يمنع إساءة أي فرد لأي مقدس ديني أو مذهبي، وعلى ضرورة إيضاح المعنى الحقيقي للحرية فأن التجاوز على الآخرين هو غير صحيح وليس من الحرية).

موجهاً أنه من اجل تحقيق السلام الاجتماعي هو نشر ثقافة التسامح والالتزام بتعاليم النجف الأشرف وعلمائها، ويتابع (دام ظله): (لابد من نشر ثقافة التسامح واحترام جميع المذاهب الإسلامية؛ لإسقاط كل المخططات الرامية لتفتيت شمل الأمة الإسلامية).

ومن هنا علينا جميعاً أن نلتزم النجف الأشرف لأنها منار عز وكرامة لكل العالم الإسلامي بنحو عام والعراقيين بنحو الخصوص، فقد أثبتت مراجع النجف الأشرف في أعظم وأكبر حدث حينما تعرضت مقدسات المسلمين في سامراء للاعتداء عدة مرات؛ وكان المجرمون أعداء الإسلام والعراق يرومون من ذلك إشعال الحرب الطائفية، فما كانت لكلمة النجف الأشرف على لسان مراجعها العظام إلا أن توقف ذلك المخطط وتقضي عليه، وما كان لسماحة المرجع (دام ظله) في زيارته التأريخية لسامراء المقدسة وحديثه مع علماء ورؤساء عشائر مدينة سامراء إلا دليلاً للعطف الأبوي الكبير الذي تعبق به مرجعية النجف الأشرف، إذ أكد أن العراق واحد، ومقدساته واحدة، وأن شرف سامراء من شرف ضريحي الإمامين العسكريين..

هل كُسِفَتِ الشَّمسُ لمقتل الامام الحسين عليه السَّلام؟

صلاح عبد المهدي الحلو

لقد كبُرَ على بعضِ المخالفينَ من النَّواصب،وبعضِ الناس المتحذلقين من ضعفاءِ اليقين،ان يكونَ الامامُ الحسينُ عليه السلام مؤثِّراً في اجرامِ الكونِ وحركاتِ الفلكِ،فتنكسف الشمسُ لأجله،وتمطرُ السَّماءُ دماً عبيطاً لمقتله،ولمَّا هابوا الحسينَ الشهيدَ،وخافوا ان يُصحِروا بفتواهم هذي،البسوا شُبهتَهم ثوبَ البرهان،وخلَعوا على مقالتهم لبوسَ العلم،وقالوا انَّ الشمس لم تنكسفْ لمقتلِ الامام الحسين عليه السلام مُحتجينَ بِمَا روِيَ عن الامام الكاظم عليه السلام ((إنَّه لَمَّا قُبِضَ إبْرَاهِيمُ بْنُ رَسُولِ اللَّه ص جَرَتْ فِيه ثَلَاثُ سُنَنٍ أَمَّا وَاحِدَةٌ فَإِنَّه لَمَّا مَاتَ انْكَسَفَتِ الشَّمْسُ فَقَالَ النَّاسُ انْكَسَفَتِ الشَّمْسُ لِفَقْدِ ابْنِ رَسُولِ اللَّه فَصَعِدَ رَسُولُ اللَّه ص الْمِنْبَرَ فَحَمِدَ اللَّه وأَثْنَى عَلَيْه ثُمَّ قَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ الشَّمْسَ والْقَمَرَ آيَتَانِ مِنْ آيَاتِ اللَّه يَجْرِيَانِ بِأَمْرِه مُطِيعَانِ لَه لَا يَنْكَسِفَانِ لِمَوْتِ أَحَدٍ ولَا لِحَيَاتِه فَإِنِ انْكَسَفَتَا أَوْ وَاحِدَةٌ مِنْهُمَا فَصَلُّوا ثُمَّ نَزَلَ عَنِ الْمِنْبَرِ فَصَلَّى بِالنَّاسِ صَلَاةَ الْكُسُوفِ فَلَمَّا سَلَّمَ قَالَ يَا عَلِيُّ قُمْ فَجَهِّزِ ابْنِي فَقَامَ عَلِيٌّ ع فَغَسَّلَ إِبْرَاهِيمَ وحَنَّطَه وكَفَّنَه ثُمَّ خَرَجَ بِه ومَضَى رَسُولُ اللَّه ص حَتَّى انْتَهَى بِه إِلَى قَبْرِه فَقَالَ النَّاسُ إِنَّ رَسُولَ اللَّه ص نَسِيَ أَنْ يُصَلِّيَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ لِمَا دَخَلَه مِنَ الْجَزَعِ عَلَيْه فَانْتَصَبَ قَائِماً ثُمَّ قَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَتَانِي جَبْرَئِيلُ ع بِمَا قُلْتُمْ زَعَمْتُمْ أَنِّي نَسِيتُ أَنْ أُصَلِّيَ عَلَى ابْنِي لِمَا دَخَلَنِي مِنَ الْجَزَعِ أَلَا وإِنَّه لَيْسَ كَمَا ظَنَنْتُمْ ولَكِنَّ اللَّطِيفَ الْخَبِيرَ فَرَضَ عَلَيْكُمْ خَمْسَ صَلَوَاتٍ وجَعَلَ لِمَوْتَاكُمْ مِنْ كُلِّ صَلَاةٍ تَكْبِيرَةً وأَمَرَنِي أَنْ لَا أُصَلِّيَ إِلَّا عَلَى مَنْ صَلَّى ثُمَّ قَالَ يَا عَلِيُّ انْزِلْ فَأَلْحِدِ ابْنِي فَنَزَلَ فَأَلْحَدَ إِبْرَاهِيمَ فِي لَحْدِه))

والجوابُ عن هذه الشبهة وفق امور،اولاً لنتسأءل هل كسوف الشمس بعد مقتل الامام الحسين عليه السلام شهيداً على رمضاء كربلاء حادثة تأريخية بحتة، ام لها جنبة عقائدية ايضاً؟

ان قلنَا بأنَّها رواية تأريخية محضة فلاينبغي التشدُّدُ في سندها كما نتشددُ في الاخبار التي يُستنبطُ منها حكمٌ شرعي،اوعقائدي،فنشترطُ كون الخبر متوتراً او لااقلَّ من كونه احاداً محفوفاً بقرينة كما في الاستنباطات العقائدية وهو مذهب بعض،او احاداً او ضعيفاً مجبوراً بعمل المشهور به وعدم الاعراض عنه كما هو مبنى بعضِ أخر في الاستنباطات الفقهية،بل يكفي في قبول الرواية التأريخية كونها مرويةً في كتب التاريخ المعتبرة،وغير مصادمة للضرورات العقلية والدينية للأخذ بها.

أما لو قلنا بأنّ لها جنبةً عقائدية بأعتبارها كرامة من الله تعالى لخليفته في ارضه وحجته على خلقه ،فماالمانعُ بالأخذ بها ايضاً؟خصوصاً وقد تواترت في كتب التأريخِ والمقاتلِ والسيرة الحسينية وشاعت على السُنِ النَّاس من غير نكير،هذا اذا اشترط المُشكلُ علينا تواتر الخبرِ في امثال هذه الكرامات،كما عليه جمهورُ المتكلمين،اما اذا كان المُستشكلُ يرى ثبوت العقائد بالأخبار الظنية كما عليه المحدَّثون،او بعض الفقهاء الذين ذهبوا الى ثبوت جزئيات المعارف بالخبر الظنّي ورأوا حجيَّة الظنّ في الامور الاعتقادية فالامرُ اسهلُ واهون.

على انَّ وجود هذه الكرامة في كتب العامة من اهل الخلاف والجماعة، مع توفر الدواعي لطمسها،ووجود الدوافع لدفنها،فإنَّ هذا الامر هو بمثابة الرصيد العملي لتحقق التواتر،حيثُ انَّ التواترَ يستندُ في حقيقته الى برهانٍ رياضيٍ في تولّد القطع بمضمون الخبر اوعدمه،وانَّ وجود هذا الخبر في كتبهم،مع عدم تمريضه والتعرض له اجمالاً،خصوصاً وانَّ الدواعي الى رفضه متضافرة،كلّها تشكّل ارقاماً رياضية في تصاعد احتمالات تحقق هذا الخبر على ارضِ الواقع،فأن لم يكن هذا الخبرُ مادةً للتواتر او الاستفاضة ،فلااقلَّ من كونه مادَّةً للوثوق،فيجب التصديق به.

والآن،كيف نحلُّ التعارضَ بين مضمون هذا الخبر،وهو انَّ الشمس قد أنكسفت لمقتل الامام الحسينِ عليه السَّلام،وبين مضمون خبر الامام الكاظم عليه السلام القاضي بأنَّ الشمس لاتنكسف لموت احد؟

الجوابُ الاول (جوابٌ كلاميٌ):- انَّ من اعطى النظر حقه في متن الرواية،يرى انَّ الجوَّ العام لما توفيَّ ابراهيمُ عليه السَّلام،هو انَّ النَّاسَ كانت تعتقدُ أنَّ موت ابراهيم عليه السَّلام كان هو العلّةَ التامّة لأنكساف الشمس،وهذا ماحدا بالنَّبيِّ صلى الله عليه واله ،وهو في ذلك الموقف العصيب - موت ولده ولمَّا يُدفنْ بعد - وكآبَتِي به قد لاحتْ على محيَّاه الشريفِ ملامحُ الحزنِ حيثُ مرارةُ الفقد ،ولوعة الثَّكل - أن يبيّنَ للنَّاس انَّ الشمس والقمر ايتان من ايات الله تعالى يجريان بأمره ويطيعانه لاينكسفان لموت احد،فالمنفي هنا ليس انكساف الشمس لموت احد،بل انكسافها لموت احدٍ استقلالاً من دون امر الله تعالى،وهذا مايُشعرُ به قوله صلى الله عليه واله (يَجْرِيَانِ بِأَمْرِه مُطِيعَانِ لَه) اذ من الواضح ،انَّ مجردَ قولِ القائلِ انَّ الشمس قد انكسفت لموتِ احدٍ من النَّاس،دون ان يعني ذلك الانكساف خروجاً عن سلطان القدرة الالهية،وتمرّداً على سُنَنِ الكون ليس ذنباً شرعياً ولامصادِماً لضرورة عقلية او علمية، و لايستدعي منه صلى الله عليه واله ارتقاء المنبر وبيان ان الشمس والقمر ايتان من ايات الله مطيعانِ لأمرِهِ لاينكسفان لموت احد.

الجواب الثاني (جوابٌ فقهي):- انَّ هذا الخبر تلوحُ عليه علائمُ الوضع،وذلك لمصادمة صدره وذيله لبعض الحقائق الشرعية والتأريخية.

اولاً:- إنَّ صدر الخبر،اعني قوله صلى الله عليه واله (إنَّ الشَّمْسَ والْقَمَرَ آيَتَانِ مِنْ آيَاتِ اللَّه يَجْرِيَانِ بِأَمْرِه مُطِيعَانِ لَه لَا يَنْكَسِفَانِ لِمَوْتِ أَحَدٍ ولَا لِحَيَاتِه) معارضٌ بماتواتر عن انكساف الشمس لمقتل الامام الحسين عليه السلام،وعن انكسافها لموت النَّبيِّ صلى الله عليه واله،كما رويَ عن امير المؤمنين عليه السلام (وكسفت الشمسُ لمَوتِهِ).

ثانيا:- انَّ هذا الخبر يذكر انَّ النَّبيَّ صلى الله عليه واله لم يصلِ على ابنه ابراهيمَ عليه السلام،حتى (قَالَ النَّاسُ إِنَّ رَسُولَ اللَّه ص نَسِيَ أَنْ يُصَلِّيَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ لِمَا دَخَلَه مِنَ الْجَزَعِ) في حين انَّ هذا الخبر منافٍ لروايات اخرى تذكرُ انَّه صلى الله عليه واله صلى على ولده ابراهيم عليه السَّلام كصحيحة عبد الله بن بكير عن قدامة بن زائدة ،قال:- سمِعتُ اباجعفرٍ عليه السَّلام يقول :- إنَّ رسولَ الله صلى الله عليه واله صلى على ابنِهِ ابراهيمَ،فكبَّر خمسا).

ثالثاً:- موافقةُ ذيل الخبر لما عليه العامّة (الذي يكونُ الرشدُ في خلافِهم) من الصّلاة على من عقل الصلاة،ولذا هم لايُصلون على الطفل الصغير،في حين انَّ فقهاء المذهب جوَّزوا الصلاة عليه.

الجواب الثالث،علمي مستندٌ الى الفلك،مع ضميمة سُنَّةٍ كونيَّةٍ مستفادة من الاحاديث الشريفة.

اولاً:- هنا سؤالان:- ماهو الكسوف، ومتى يحدُث؟

يحدثُ الكسوف عندما يكون الشمس والقمرُ والارضُ في استقامَةٍ واحدة،ويكون القمرُ في المنتصفِ ويُلقي بظلِّه على الارض،ولايكون هذا الاَّ في أُخرياتِ الشهر القمري كما يقولُ علماءُ الفلك اي وقت المحاق،وهذه الحيلولة،اعني كون القمر في المنتصف تقريباً بين الشَّمس والارض لاتكون الاَّ بعد اليومِ السابعِ والعشرين من الشهر القمري،ولاتكون في بدءِ الشهرِ ولافي منتصفه.

وهنا نستنتج نقطةً مهمةً من انَّ الكسوف لايحدثُ في اول الشهر ولامنتصفهِ وهي انَّه من المستحيل علمياً حدوث الكسوف في اليوم العاشرِ من الشهر القمري،لأنَّه تقدَّم في البحث انَّه لايكون الاَّ بعد اليوم السَّابع والعشرين من الشهر القمري،وبالتالي علينا مواجهة هذا السؤال:- كيف تواتر في الاخبار انَّ الشمس انكسفت يوم مقتل الامام الحسين عليه السلام في العاشر من محرم؟

الجواب يكون بالاستنادِ الى مقدمتين:-

الاولى:- انَّ الله تعالى ابى الاَّ ان يجري الامور بمسبباتها،وهذا قانونٌ كونيٌّ صارم،حتى مانعتقده انَّه من عالَمٍ وراءَ عالمِنا من المعجزات والكرامات وغيرها،هو في الحقيقة يجري وفق نظام العلل،غايتُهُ ان علةً خفيَت علينا من ذلك العالَم تصرَّفت في معلولاتِ هذا العالم.

ومن تلك العللِ الذنوب،فإنَّ بين ارتكاب الذنب والقوانين الطبيعية ملازمة تكوينية،ولايضرُّ هذه الملازمة كون حقيقة اللزوم فيها خافيَةً على عامَّة النَّاس،فمثلاً اذا فشا الزنا - كما في بعض الروايات - حدثت الزلازل،وإذا منَعَ النَّاسُ الزكاةَ منعتِ الارضُ بركتَها،ولاريبَ ان قتلَ الامامِ الحسين عليه السَّلام من اعظم الذنوب وهذه الجريمة سبَّبت خللاً كونياً في عالم الطبيعة ادَّى الى اظلاَّمِ الشمس.

الثانية:- ان نتصرف في معنى الكسوف لغةً، حيثُ انَّ الكسوف لغةً تغيّرُ حال الشيْ مع انقطاع،والكسوف الجزئي مثلاً هو انقطاع جزءٍ من الشمس في حالته عن باقي الشَّمس وتغير حالته الى السَّواد،وهذا الامر كما يكون في حيلولة القمر بين الشَّمس والارض يكون بأمرٍ اخر وهو ذنوبُ العباد،ومن اعظمها الذي يُوجِبُ تغيّرا في نظام الكون هو قتلُ الامام الحسين عليه السَّلام،فيكون المرادُ بالكسوف ليس هو حيلولة القمر بين الشمس والارض بل اسوداد الشمس وتغير حالها من النُّور الى الظلام وهذا أمرٌ يُساعد عليه العرف واللغة.

على انَّنا لو قلنا بأنَّ المراد بالكسوف لغةً هو حيلولة القمر بين الشمس والارض لما ضرَّنا ذلك ايضاً،حتى ولو قيل بأنَّ الكسوف لايكون قبل اليوم السابع والعشرين من الشهر القمري،فنلتزم بان يقع حادثُ الكسوف في اليوم العاشر من محرم،دون ان يُوجِبَ ذلك خللاً في نظام الكون،سواءٌكان هذا بحيلولة القمر بين الشمس والارض او بحيلولة جرمٍ اخر غيره،وكم له من نظير وحسبك من ذلك انشقاق القمر دون ان يتغير نظام الكون او يتخلخل،وردُّ الشمس للامام علي عليه السلام ولوصيّ موسى عليه السلام ولسليمان النَّبيّ عليه السلام ولم يتغير نظام الكون.

وهذا ليس مستحيلاً عقلاً،وهو ليس اكثر غرابة من احياء الموتى على يد عيسى عليه السلام وعدم احراق النَّار لأبراهيم عليه السلام،نعم هو مستحيلٌ بحكم العادة،والاستحالة العادية لاتنافي امكان الوقوع وان نادراً،ويشهدُ لعدم استحالة هذا الامرِ النقلُ ايضاً فمن علامات طلوع الامام المهدي عليه السلام انَّ الشمس تنكسف في النصف من شهر رمضان اي قبل اليوم السابع والعشرين من الشهر القمري كما في الخبر المروي عن الامام الباقر عليه السلام.

وكان بودّي جداً ان ابيّنَ ذلك اكثر من هذا،وان اجعل معه النقولات التأريخية من كتب الفريقين على وقوع كسوف الشمس ولكن سيكون البحثُ طويلاً جداً لذا اكتفي بهذا المقدار.

س: ما المقصود من شعائر الإمام الحسين (ع)؟
باسمه سبحانه: المقصود بها كل عمل مباح في نفسه أو مستحب، فيه إحياءٌ لذكرى الطف، وإظهارٌ لعظمة الحسين (ع)، وعظمة نهضته، وعظمة شأنه، وعظمة زيارته، والله العالم.

س: ما هو دور الشعائر الحُسينية في الزمن الراهن وفي المُستقبل؟
باسمه سبحانه: هو ربط الناس دينياً وعاطفياً وعقيدةً بالحسين(ع)؛ لأن في إحياء ذكرى فاجعة الطف ـ بخصوصيته إحياءً للدين، واستمراراً له وللتشيّع والله الموفق.

س: كان لقضيّة عاشوراء تأثيرٌ كبيرٌ في إحياء الأمة والحفاظ على الإسلام الحنيف من الاندثار، كيف يُمكن أن نُفعِّل هذه القضية بشكل أكبر في واقعنا اليوم بحيث تُحافِظ على نفس الوهج والتأثير؟
باسمه سبحانه: يتم ذلك بإقامة التعازي والمجالس، على أن تكون الكلمات والخطب تشتمل على الوعظ،وتوعية الناس، وبيان مغزى نهضة الحسين(ع) مع ربطها بالعاطفة وتشجيع الناس على البكاء والحُزن، وإبراز مظاهر الحزن وتنظيم المجالس والمواكب ضمن التشجيع على الالتزام بالدين كالصلاة التي هي عماد ديننا، وكذلك تنظيم المجالس بنحو لا تُعارض أوقات الصلاة، فلو حَل وقت الصلاة أثناء إقامة العزاء وتحرّك الموكب فالمفروض أن يتوقف الموكب لأجل إقامة الصلاة، ويقيم مَن في المواكب الصلاة لتتهيأ بذلك ظروف نجاح ثورة الحسين (ع) واستمرار نجاحها في المستقبل أيضاً؛ لأنها كانت من أجل الدين والصلاة، ويثلج بذلك صدرهُ (ع) وتَفرح نفسه القُدسية لما يشاهد من ثمرة تضحيته بكل غالٍ ونفيس، اللهم أعنا على ذلك، والسّلام.

س: هل يجوز أداء الشعائر الحسينية إذا لم يكن هناك أساس شرعي لها من القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة؟
باسمه سبحانه: كأنك يا بني تتخيل أو هناك من يسعى في بث ذلك في خيال أمثالك أنَّ ما يتعاطاه الشيعة ويتفانون في سبيله جيلاً بعد جيل وبمرأى ومسمع من علمائنا الأبرار وفقهاء مذهب أهل البيت وبمشاركتهم فيها أحياناً كثيرة بنحو من أنحاء المشاركة كل ذلك بدعة ـ والعياذ بالله ـ ومن دون مسوغ شرعي، أرجو الله تعالى أن يهديك وكل من نفث في روعك من هذه الأفكار: (وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ)، والعاقبة للمتقين.

س: لماذا كل هذا الاهتمام من السماء في جانب تعميق ثقافة الشعائر عند المسلمين؟
باسمه سبحانه: أولا ينبغي أن تعلم أن علل الأحكام الشرعية أراد الله تعالى أن يحتفظ بها ولا يطّلع أحداً عليها سوى بعض خواص أنبيائه الخلصّ، فأنت لا تعلم لم صلاة المغرب ثلاث ركعات والعشاء أربعة، ولم في كل ركعة ركوع واحد وسجدتان؟ ولم يجب إسبال اليدين؟ ولم يجب الغسل بخروج المني ولا يجب بخروج المذي والبول وهكذا.
ولا يبعد أن يكون هذا الاهتمام الشديد بإحياء فاجعة الطف من قبل المعصومين (ع) لما في إحيائها من استمرار للدين، وبيان لقبح الظلم، وتعليم وتمرين وترسيخ لمبدأ مقارعة الظلم ومبدأ عدم الخضوع لغير الله، والله العالم.

س: أين يحيى سماحة الشيخ (دام ظله) عاشوراء؟ ولماذا اختار سماحته هذا المكان للإحياء؟
باسمه سبحانه: أرجو الله سبحانه أن يمكننا ويوفقنا لإحيائها في ضوء روايات الأئمة(ع)، والظروف تحول دون إحيائها تحت قبة الإمام الحسين (ع) ومعلوم أنه الأفضل، ففي هذه الحالة نلجأ في إحيائها في مكتبنا الخاص والله الموفق.

س: هناك رأي يطرح وهو إن الجزع والحزن أمر فطري داخلي يترجمه الإنسان بأفعال عفوية تكون مصداقاً لذاك الجزع، وما يحصل اليوم هو لطم منظم حيث يقوم الرادود بإلقاء اللطميات وتوحد اللطمة بشكل يصبح مثل الفلكلور، فما رأيكم في هذا الأمر؟ وكذلك ما رأيكم بالقول بأن اللطم هو أحد الوسائل لبث الحماسة في القلوب لإبقاء حرارة الحسين متقدة في قلوب المؤمنين بالإضافة إلى كونه أحد مصاديق الجزع؟
باسمه سبحانه: ما لم يكن اللطم مؤدياً إلى هلاك المكلَّف أو تعطّل عضو من أعضائه، أو كان المكلف في مكان أو ظرف يتنفَّر أهله من الإسلام لإستيائهم منه جهلاً بمغزاه وبمبدأ سيد الشهداء (ع) فيتنفرون عن الإسلام – (ما لم يكن مؤدياً إلى هذا))- بل كان غرض المكلَّف من فعله هذا جذب الناس إلى مبدأ الحسين(ع) وإظهار تعاطفه مع قضيته(ع) والكشف عن زيف أعدائه، ولم يكن مقاماً في المكان الذي أشرنا إليه، فهو عملٌ مباحٌ بل مرغوبٌ به يثاب عليه فاعله ويحشر مع خدمة مبدأ الإمام الحسين (ع)، والله العالم.

س: مع تزايد الحملات الطائفية وشراستها، هل ترون من جديد لتفعيل دور المواكب الحسينية في هذا المضمار؟
باسمه سبحانه: يجب الابتعاد عن إشعال النار الطائفية والسعي في كبح جماح مثيري الفتن، فإن هذا لا يعود بالخير على أحد، والله العالم.

س: هل من المناسب أن يقتصر نشاط المواكب الحسينية على مظاهر اللطم والمشق وتوزيع الأغذية؟ أم ينبغي الدخول في التوعية الاجتماعية والمشاركة في حل المشاكل المقدور عليها؟
باسمه سبحانه: تنظيم المواكب مطلوب، ويجب تنزيهها عن المقاصد السياسية والأغراض الدنيوية الدنيئة، كما أن الإصلاحات السياسية والتوعية الدينية والأخلاقية مطلوبة أيضاً، إلا أنّهُ لا يجوز خلط الحابل بالنابل، والله العالم.

س: كيف يمكن أن نُلفِت أنظار المسؤولين عن المواكب وباقي الناس، إلى أن الغرض الأساس من الشعائر هو إحياء الدين، والمحافظة على حدوده، وحُرمة المخالفة الشرعية وكل ما يُسيء للمذهب؟
باسمه سبحانه: إنها وظيفة الخطباء، كما ويدخل تحت عنوان الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فيجب على كل من يتمكن أن يفعل شيئاً من ذلك أن يفعل ولا يُقَصِّر، والله العالم.
س: بماذا تنصحون أصحاب المواكب فيما يجب عليهم إتباعه في مواسم عزاء أهل البيت(ع)؟
باسمه سبحانه: ينبغي أن تكون المواكب والاجتماعات التي تُعقَد لأجل العزاء لأهل البيت(ع)، شَبيهةً بالتي كانت تُعقَد في دُور بني هاشم وبيوت آل الرسول(ص) بعد فاجعة الطف، والتي كانت تحت توجيه وإشراف الأئمة(ع)، ولا يجوز اتخاذها ذرائع لكسب المال والوجاهة أو السباق السياسي والله الموفق.

س: تقوم بعض المواكب الحُسينية بغَلق الشوارع عند التعزية ممّا يؤدي إلى عرقلة السير، مع العلم بأن قِسماً من هذه الشوارع هي شوارع رئيسة لا يمكن الاستغناء عنها في كثير من الأمور،ومنها نقل المرضى، هل يجوز ذلك وما حكمها الشرعي؟ أفتونا مأجورين.
باسمه سبحانه: اعلم يا بُني انه ينبغي بل يَجب أن لا تَقل لديك قيمة عَزاء الحسين(ع) عن قيمة حَركة الجيش أو تنقل مسؤول كبير في الشارع العام، ولا أظن أنك تستشكل من إغلاق الشارع لحركة الجيش أو مسؤول كبير أو سياسي مهم، أو لأجل إصلاح الشارع، ولكنك تستشكل من غلقه لأجل العزاء على الحسين(ع)، هل العزاء دائمي، هل نقل المرضى مُنحصر بذلك الشارع، ألا يُمكن استخدام الطرق الفرعية؟
واعلم يا بُني إن التوفيق لإقامة العزاء على سيد الشهداء(ع) والمشاركة فيه من أهم النِعم التي مَنَّ الله سبحانه بها علينا، ويجب أن لا نستَثقِلها كي لا تُسلب مِنّا كما فَعَلَ الله سبحانه بِنا في السنين السالفة، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

س: هل يحرم خروج المواكب والمسيرات في الطرق إذا سبب الإزعاج للدولة، وسبب الازدحام وأخل بالسير الطبيعي في البلاد، وأعاق الحالات الإنسانية؟
باسمه سبحانه: ينبغي حل هذه القضايا بالمفاهمة مع السلطات المعنية، إذ كما أن ملاحظة المواكب ومداومتها بالنحو المطلوب والمرغوب شرعاً مطلوبٌ، فكذلك مراعاة الناس وحقوقهم والمحافظة على النظام وعدم إزعاج الناس مطلوب أيضاً، والله الموفق وهو الهادي.

س: بماذا تردون على مَن يمنع الماء عن المُطَبِّرين، أي انه عندما يمرّ موكب التطبير يقوم بعض الأشخاص برفع أكواب الماء عن المُطبرين؟
باسمه سبحانه: إن كان هذا العمل بدون مُسوَّغ شرعي فصاحبه يَحرم نفسه من الأجر العظيم، ورُبَما يَرتَكِب مَحذوراً شرعياً لأنه يمنع الماء عَمَّن أُعِدَّ له مِن قِبَل المُتبرع، ومسألة تنجيس الكوب يمكن مُعالجتها بأبسط الطُرق، وقد قيل رحم الله ساقي الماء ولو كان على الماء، وهو مضمون بعض الروايات، وأمير المؤمنين(ع) لم يمنع الماء عن أتباع مُعاوية كما في قصة حرب صِفين، وفي بعض الروايات إنه(ع) أوصل الماء إلى الثالث وهو مُحاصر نتيجة تصرفاته والله الهادي.

س: شاعت في السنوات الأخيرة ظاهرة التبرع بالدم في يوم عاشوراء، وادَّعى الكثير من المؤمنين أنها من الشعائر الحسينية، فهل لهذا الكلام دليل؟ وهل يعد التبرع بالدم شعيرة حسينية أم هو عمل إنساني فقط؟
باسمه سبحانه: إنَّه عمل إنساني فقط، بشرط أن لا يكون غرض المتبرع أو من يحثه عليه منع الناس من الشعائر الحسينية، بما فيها التطبير، حيث أبحناه والله الهادي وهو العالم.

س: هل تعتبرون التطبير والضرب بالسلاسل، والمشي على الجمر والزحف نحو القبر من الشعائر الحسينية وإنها لا توهن المذهب الحق، خصوصاً ونحن نرى أعداء المذهب يشنعون على المذهب الشيعي بسبب هذه الممارسات؟
باسمه سبحانه: الموارد التي أشرت إليها من الشعائر بل من أبهاها، وأما إن كنت تريد أن ترضي أعداء الله وأعداء رسوله وأعداء أهل البيت فهم لا يرضون ما دمت في حظيرة مذهب أهل البيت، وهم كما يستنكرون ما ذكرت يستنكرون البكاء على أهل البيت(ع) ويستنكرون ولاءك لهم ـ أي لأهل البيت ـ ويستنكرون زيارة قبور أهل البيت(ع) فعليك بالالتزام بالدين وبما جاء من أهل البيت(ع) والله الهادي.

س: ما رأي سماحتكم بالطقوس التالية والتي تشوّه سمعة مذهب أهل البيت(ع):
١ـ التطبير؟
٢ـ ضرب الظهر بالسكاكين والتي تؤدي إلى إسالة الدم؟

٣ـ المشي على النار؟
٤ـ تطبير النساء والأطفال؟
٥ـ الزحف على الأرض من أجل زيارة الإمام الحسين(ع)؟
٦ـ وضع أثقال على الصدر من أجل إنزال الدم من الجسم؟
باسمه سبحانه: ما لم يكن فيما ذكرت غير ما ذكرت فلا بأس.
ثم اعلم أن مَن تراه ينظر إلى الأعمال المذكورة في السؤال بازدراء أو بشماتة فلا ينبغي للعاقل أن يهتم بذلك، فان من يعتقد أن سمعة المذهب تشوه في نظرهم ـ كالشعوب الأوربية ـ لو نظرت فيما تفعله هذهِ الشعوب لأجل التسلية والمباهاة فقط من الأفعال القبيحة، لوجدت ما تشمئز منها النفوس المهذبة مثل أفلام الرعب التي تُصرف فيها الملايين بل المليارات من الدولارات، والملاكمة الحرة وأنواعها من الألعاب الرياضية، ونوادي العراة والمسارح التي تمثل فيها القصص بالعري الكامل، ولعلمت أن اعتمادك على مثل هذهِ الشعوب لا يسنده العقل السليم، ثم نحن بينّا في مسألة التطبير أنه ينبغي أن لا يحدث تطبير ولا يُمارس في المكان الذي يجهل أهله الحسين(ع) ومبدءه، وتعتقد أن ممارسة التطبير في ذلك المكان يؤدي إلى تنفر أهله عن الحسين ومبدئه. والله العالم وهو الهادي.
س: هل يوجد نصٌّ على الزحف لقبور أهل البيت كما يفعله بعض الشيعة؟
باسمه سبحانه: إنها حالة نابعة عن شدة الحب، ولعل قسماً منها جاء كردة فعل على الذين يشنعون على التشيع لأجل منع الشيعة من الشعائر الحسينية، فما لم يكن هناك محذور شرعي فلا بأس والله العالم.

س: هل السير في مسيرات العزاء حُفاةً، سُنَّة كما يقول البعض خصوصاً في يوم عاشوراء، وما هو الدليل عليه؟
باسمه سبحانه: إن كان المشي بالنحو المذكور في السؤال يُعَد في العرف السائد في المنطقة مِن مظاهر الاحترام للعزاء، ومِن ثُمَّ مِن مظاهر احترام صاحب العزاء سيد الشهداء (ع)، فلا شك في انه يكون راجحاً شرعاً، وأما سؤالك عن الدليل فاعلم يا بني إن كنت مجتهدا فعليك البحث عن الدليل ثم العمل بمقتضاه، وان لم تكن من أهله فما المسوّغ لما سألت؟ فهل ترى لنفسك مسوغاً لأن تسأل الطبيب الأخصائي عن الدليل على اختياره هذا النوع من الدواء لك مع عدم كونك من غير أهل الاختصاص؟ والله العالم وهو الهادي.

س: هل يصح استغلال موسم عاشوراء في بلدٍ شيعي للتحشيد لحزبٍ مُعين، أو للترويج لموقف معين سياسي ديني؟
باسمه سبحانه: يجب تنزيه المواكب الحُسينية، وكذا المجالس الحُسينية عن جميع ما ذُكِرَت ،والله العالم.

س: ما هو رأي سماحتكم في طرح القضايا السياسية في مواكب العزاء؟ وذلك انطلاقاً من سيرة أهل البيت(ع) وخصوصاً القضايا التي تمس الإسلام مباشرة كالإساءة للرسول(ص)، والهجوم على المقدسات الإسلامية وقضية القدس والعراق، ومُحاربة الإسلام والمسلمين في كل مكان، خصوصاً أن المواكب يحضرها الآلاف ويستمع لها الكثيرون؟ ولكم جزيل الشكر.
باسمه سبحانه: يجب عَزْل القضايا الحُسينية عن المقاصد الدنيوية السياسية وغيرها، كما يجب حصر هذه المواكب والشعارات المرفوعة والأشعار المقروءة والمنشورة والمنشدة فيها في دعوة الناس إلى مبدأ الحسين(ع) وهو الالتزام بالدين وتقوى الله والله العالم.

س: هل يجوز اللطم على موضوع سياسي يتخلل القصيدة في الموكب الحسيني؟ وهل يجوز إقحام السياسة في المواكب الحسينية؟
باسمه سبحانه: يَجب تنزيه المواكب الحُسينية من المقاصِد المادّية والسياسية، فإنَّ الحسين(ع) ليس جسراً لأهوائنا والله العالم.
س: هل يجوز طرح قضايا معاصرة ـ سياسية واجتماعية وثقافية ، أي ما يصطلح عليه في أجوائنا بالأمور القيمية في عزاء أبي عبد الله الحسين(ع)، كالربط بين حادثة كربلاء والواقع المعاصر، وكتعزية صاحب الزمان – عليه السلام ـ بمصائب العصر واستلهام العبر من كربلاء الحسين(ع)؟
باسمه سبحانه: يجوز استلهام العبر من قضية الحسين(ع)، ولكن لا يجوز إدخال الأمور السياسية في قضية الإمام الحسين(ع). والله العالم.
س: هل الدم الذي يَخْرُج في أثناء العزاء جائز أم لا؟
باسمه سبحانه: لا بأس إذا لم يكن فيه خوف على حياة الإنسان أو على عضوٍ مِن أعضائه مِن التلف، والله العالم.

س: ما هو حكم اللطم على الصدور إلى حدّ الاحمرار أو الاسوداد؟ وما هو حكم من يستعمل الزنجيل ويضرب به على كتفه في أيام محرم حتى يُدمى كتفه عزاءاً على الحسين(ع)؟ وما هو حكم خروج المواكب إلى الشوارع إحياءً لفاجعة الطف؟
باسمه سبحانه: إن كان الغرض إحياء ذكرى الطف المؤلمة لأجل أن تبقى جذوةً مُتقِدةً في القلوب تُثير العَواطف و تُحمِّس المظلومين وتهز عروش الظالمين وتخيفهم من سيف العدل، فهو عملٌ مطلوب مرغوب محبوب شرعاً، وينبغي الاجتناب عن ذلك في الأماكن التي أهلها لجهلهم بمبدأ الحسين(ع) يتنفرون عن الإسلام والتشيع بمشاهدتهم ذلك، والله العالم.

س: هل يجوز اللطم في عزاء سيد الشهداء أبي عبد الله الحسين(ع) وبالتحديد في عشرة محرم الحرام على غير مصيبتهِ(ع)، كأن يكون على أمرٍ من الأمور السياسية، أو ذكر رموز سياسية وقيادية في المجتمع الإسلامي، هل يجوز اللطم على مثل هذه الأمور؟
باسمه سبحانه: أمّا مِن حيث الحكم الشَرعي فلا أُفتي بحرمة اللطم على أية مُصيبة ما لم يؤدِ إلى تَلَف أو تَعَطّل عضو من الأعضاء، ولكن ينبغي أن نَعلم إنه لا يجوز اتّخاذ قضية الحسين (صلوات الله وسلامه عليه) وسيلةً للمآرب المالية والسياسية، كما ينبغي عدم الخلط بين الطقوس المذهبية وبين المقاصد السياسية والله العالم.

س: في هذه البلاد الإسلامية وفي أيام العزاء الحسيني يقوم بعض المهاجرين بالتطبير على نحو المتعارف في بعض البلدان الإسلامية ـ أي الزنجيل مع السكاكين ـ ولا يخفى أن عددهم يزيد عن ٥٪ من نسبة أتباع أهل البيت(ع) في هذا البلد، ومع الأسف أدت هذه العملية إلى إثارة الفتن والتساؤلات حول عقلية المذهب والتهم من قبيل التشبه بالهندوس وغيرهم في مجتمعنا النائي عن المجتمعات الشيعية التقليدية، ونعتقد بناءً على ما شهدناه وتقييمنا الاجتماعي إن استمرارية هذه الظاهرة قد تؤدي إلى تشويه صورة مذهب أهل البيت (ع) والإضرار بسمعته وتضحيل ثقافته وبالتالي ينجر إلى تعويق أو تضعيف ـ على الأقل ـ العمل التبليغي الإسلامي بين أجيال هذا البلد، نسترعي من سماحتكم أن تبينوا لنا نظركم في هذا الموضوع وترشدونا إلى صواب الطريق، ولكم من الله الأجر والثواب.
باسمه سبحانه: ما تراه من تشويه واستبشاع في كلمات أعداء الإسلام والتشيع هو من قبيل دموع التماسيح، أفلا يستبشع هؤلاء مباراة الملاكمة والمصارعة الحرة مع عَدهما من المباريات العالمية المسموح بها؟ وهكذا أفلام الرعب التي تُبذل عليها الملايين من الدولارات ويشاهدها الملايين من الناس ؟مع أنه لا توجد غاية شريفة مفيدة للمتبارين أو المشاهدين.
وينبغي لكل مكلف الرجوع في عمله إلى من يُقلِّده بعد إحراز التقليد الصحيح في ضوء الأحكام الشرعية، والأمر والنهي مِمَّن يرى ولاية الفقيه في مِثل هذه الأمور تنفذ عليه وعلى مُقلديه، ويجب معالجة الاختلاف بالتأني والحنكة والمُفاهمة، ولا يجوز للمقلد ـ لمن يمنع من التطبير أن يمنع أو يعارض أو يحارب من يقلد المجوّز للتطبير، شأن التطبير في ذلك شأن باقي المسائل الشرعية والله الهادي.
س: هل يجوز التبرع بالدم في ثواب الحسين(ع) وأهل البيت وهل هو أفضل من التطبير أو الجمع بينهما؟
باسمه سبحانه: إذا كان هناك شخص مؤمن بحاجة للدم ولا يوجد له باذل فالتبرع مقدمٌ حِينئذٍ فقط على التطبير والله العالم.

س: بعضهم يَطْرَح مسألة التبرع بالدم وخاصة في يوم عاشوراء في قبال التطبير، السؤال هو هل يُعتَبَر التبرع بالدم شَعيرة؟ وهل بالإمكان أن يكون التبرع بالدم بَديلاً عن التطبير؟
باسمه سبحانه: لا يكون التبرع بالدم بَديلاً عن التطبير في مَفهومِهِ ومَغزاه، نَعم التبَرع بالدم في إنقاذ حياة المؤمن البريء واجب كفائي على المؤمنين في كل زمان ومكان، ولا مُوجِب لأن يُجْعَل التبرع بلا مُلزِم شرعي مُعارضاً للتطبير الذي هو في حِدودِه شعيرة من شعائر الله.
واعلم يا بُني إن هؤلاء جلّهم ضَعُفت عقيدتهم بالتشيع ومبادئهِ ـ لأسباب كثيرة ـ وأخذوا في لا شعورهم يتنصلون عنه وَوَصَلَ ببعضهم الحال إلى الإحساس بالنقص من الانتماء الشيعي، ولو تأملت في سلوكهم الحالي والغابر لَوجَدتَ شطحات كثيرة صدرت منهم سلبتهم روحَ العقيدة ولذلك لا يَواجهون العلماء والعباقرة في علومهم بل يلجؤون إلى إثارة الفتن في المجَالس العامة، ويَطرحون اجتهاداتهم المزَعومة أمام عامة الناس، وبعضهم يُحاول التقرُّب إلى أعداء الشيعة بِمِثل هذه التصرفات، وبعضهم يَطلب الشُهرة حسبما قيل ـ خالِف تُعرَف ـ.
إن كان لدى هؤلاء مطالب علمية فعليهم أن يقصدوا العلماء ليناقشوهم بها ويتركوا عامة الناس يعملون بفتوى من يُقلدونه، وعُلماؤنا الأبرار معروفون بُنكران الذات والاعتراف بالخطأ والخضوع للواقع، وأنا شخصياً أعرف من كان يقول وما زال يقول: (إن من يُرشدني إلى خطأي في شيء من المطالب العلميّة له في دَمْتي زيارة معصوم من المعصومين(ع))، قال الله سبحانه: (فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ) والله الهادي.

س: ما هو حكم من يقوم بتطبير الأطفال؟
باسمه سبحانه: إذا رأى والدا الطفل مَصلحةً للطفل كتَعويدِهِ على تَحمّل التعب والمشقة في سبيل إحياء ذكرى الطف المؤلمة الخالدة، ولم تتخلف فيه الشروط المُعتبرة لإباحة التطبير فلا بأس والله العالم.

س: هل للأب ولاية على الولد الصغير حتى بأن يجرح رأس ولده المؤدي إلى خروج الدم (التطبير) في اليوم العاشر من المحرم؟ وماذا لو كان الولد صغيراً جداً؟
باسمه سبحانه: إذا كان والِدا الطفل يريان مَصلحة للطفل كتعويدهِ على تحمل التعب والمشقة في سبيل إحياء ذكرى الطف المؤلمة الخالدة فيجوز التطبير، ولكن بالشروط التي ذكرناها في فتاوينا، والله العالم.

س: بعض النساء في محرم يَقمنَ بجرح أطفالهن الذين تتراوح أعمارهم بين السنة الواحدة والسنتين في رؤوسهم مواساةً لأبي عبد الله الحسين(ع) فهل عملهن هذا جائز؟
باسمه سبحانه: إذا كانت الغاية تدريب الطفل وتعويده على تَحَمّل الأذى في سبيل أهل البيت(ع) ولم يكن فيه ضرر على الطفل من جهة أخرى فلا بأس كما يفعل الصالحون ـ امتثالاً لأمر الله سبحانه ـ في تنبيه الأطفال على الصلاة وتدريبهم على الصوم والله العالم.
س: هل يجوز لولي الطفل أو الصبي الصغير غير المميز أن يطبره في موكب التطبير؟ أم إنَّ هذا لا يجوز لعدم سريان الولاية في هذا الأمر؟
باسمه سبحانه: إذا رأى والد الطفل مصلحةً للطفل كتعويده على تحمّل التعب والمشقة في سبيل إحياء ذكرى الطف المؤلمة الخالدة فلا بأس به ويجوز التطبير بشروط ثلاثة، والله العالم.

س: هل أنّ من يحرِّم بعض الشعائر الحسينية بوجه عام، والتطبير بوجه خاص ساقط العدالة؟ أفيدونا مأجورين والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.
باسمه سبحانه: إن كان المحرِّم للتطبير مجتهداً وما توصل إليه من الحكم حسب الأدلة وحسب اجتهاده فلا يوجب ذلك بالقياس إليه فقط والله العالم.

س: هل يجوز للنساء التطبير والضرب بالزناجيل والسير على النار؟
باسمه سبحانه: إن لم تخرج من الحجاب والتحفظ من الأجانب وإطاعة الزوج فلا بأس مع الشرائط التي ذكرناها في التطبير من قبل الرجال والله العالم.

س: البعض يدعو إلى ترك ممارسة التطبير بصورة علنية أمام مرأى العالم، لا لأنهم يعارضون حكم الفقيه ولكن من باب أن التطبير لا يصلح أن يكون وسيلة دعوية إلى الإمام الحسين(ع) والى مذهب الحق؛ لذلك ينبغي على من يمارس التطبير أنْ يمارسه منعزلاً عن أنظار الناس في أماكن مغلقة، فهل ترون أن منظر التطبير وشدخ الرؤوس وإسالة الدماء وسيلة دعوية ممكن من خلالها أنْ تؤثر في المخالفين وغير المسلمين للاهتداء إلى مذهب أهل البيت(ع)؟
أم ترون انه مجرد عبادة ومظهر من مظاهر الشعائر الحسينية، ينبغي أنْ تُمارس في نطاق مغلق حتى لا يُعد ذلك ثغرة في تنفير الغير عن التشيع؟
وهل تجزمون قطعاً أن إقامة التطبير عمل مرضي عند الإمام الحسين(ع)؟
باسمه سبحانه: اعلم يا بني أن التطبير ـ مضافا إلى ما ذكرناه في الفتوى المختصة به ـ يشمل على خلق التحدي عند المنادين باسم الحسين (ع) وإعلان الاستعداد والتضحية بكل غالٍ ونفيس حتى روح الإنسان، كما يشتمل على إرهاب الأعداء وعلى غيظ يدخل في قلوبهم، وكل هذه المعاني مطلوبة مرغوبة على الصعيد الديني والاجتماعي والسياسي.
واعلم أن تظاهر الأعداء باستبشاع منظر التطبير إنما هو تكلّفٌ منهم سعيا في تخفيف وجود وانتشار هذه الشعيرة؛ لأنها تحرق قلوبهم، أحرق الله قلوبهم بنار الدنيا قبل نار الآخرة بحق حبيبه الحسين(ع) والله الهادي وهو الموفق.

س: أرجو أن تتفضلوا بالإجابة على هذه الأسئلة:
١) ما رأي سماحتكم بالمشي على النار في عزاء الحسين (ع)؟
٢) ما رأي سماحتكم بالزحف أو المشي على الأربع احتراماً لقبر الحسين(ع)؟
٣) هل يحصل الإنسان على ثوابٍ أكثر إذا قام بإيذاء نفسه بشكل أكثر في عزاء سيد الشهداء(ع)؟
١) باسمه سبحانه: إن كان المقصود فضح جرائم أعداء الحسين(ع) والكشف عن مظلوميتهِ مع عدم الاطمئنان أو العلم بأن العمل المذكور سوف يؤدي إلى هلاكه أو تعطل عضو من أعضائه ولم يكن في منطقة يستبشع أهلُها هذا العمل ويوجب ذلك تنفرهم عن الدين الإسلامي وعن مبدأ الحسين(ع) لجهلهم بقضيته(ع) فلا بأس وينبغي إبعاد ذلك عن المشاهد المُشرّفة والله العالم.
٢) باسمه سبحانه: لا مانع من ذلك مع الشرائط التي أشرنا إليها في السؤال الأول والله العالم.
٣) باسمه سبحانه: إذا كان ضمن الشرائط التي أشرنا إليها في السؤال الأول فلا يَبعد والله العالم.

س: أرجو الإجابة على هذه الأسئلة المتعلقة بالمشي على الجمر:
١) هل المشي على الجمر مُستَحب؟
٢) هل هو من الشعائر الحسينية؟
٣) هل هو من مصاديق الجزع؟
١) باسمه سبحانه: المشي المذكور في نفسِهِ إذا لم يَضُرّ البدن أو تعطل العضو فهو مُباح، نعم إذا ترتب على ذلك الانتصار للدين ولم يترتب على ذلك أي ضَرَرٍ على الإسلام أو المسلمين فيصبح راجحاً حينئذٍ والله العالم.
٢) باسمه سبحانه: إذا توفّرَت المعاني المُشار إليها في الجواب السابق يكون من الشعائر والله العالم.
٣) باسمه سبحانه: ليس من مصاديقه والله العالم.

س: ظهرت في الآونة الأخيرة عادة المشي على الجمر أيام عاشوراء، فهل تجيزون هذا العمل؟
باسمه سبحانه: يجري فيها ما يجري في التطبير فيجوز بالشرائط التي ذكرناها في جواز التطبير وضرب السلاسل، والله العالم.

س: ما حكم ذهابي إلى الأعمال في يوم العاشر من محرم الحرام، وإذا كان الشخص مُجَبراً على العمل ماذا يعمل؟
باسمه سبحانه: نعم يجوز لك ذلك، إنما تغلق المحلات والدكاكين في العاشر من محرم لأجل بيان الحزن على سيد الشهداء(ع)، ويُكره كراهة شديدة السعي في كسب المال في هذا اليوم المشؤوم، وإن اضطررت أو أُجبرتَ ارتفعت الكراهة بمقدارهما والله العالم.

المواكب الحسينية وصراع الجبابرة.
إطلالة ونظرة تاريخية.

أحمد الغزالي

قبل أن نشرع في موضوع الشعائر الحسينية وكيفية نشأتها علينا أن نتطرق ونعرف معنى كلمة (الشعائر) والتي تعتبر المفتاح الذي نفتح به أبواب غرف مقفلة مملوءة بالأسئلة والأجوبة في الوقت نفسه ، فتعريف الشعائر هي: عادات يمارسها الإنسان نتيجة دافع دنيوي أو ديني يمارس من خلالها أفعالاً بشرية معنوية كانت أو مادية، ونلاحظ أن الشعائر لا تكتمل ولا تتواصل كما اشرنا إلا بأفعال ومنها (الشعر) ويكون عادة أما ملقىً في تجمع أو مقروء وترافق ظاهرة الإلقاء (البكاء) وهو سيلان الدمع وناتج ذلك عن الحزن و(النحيب) وهو رفع الصوت بالبكاء، وأيضا يرافق الشعائر البكاء على الميت، وعد محاسنه وندب الميت بعد موته هذا إذا كانت الشعائر على الأموات، وهذا لا يعني أن الشعائر تقتصر على الأموات فقط، وإنما هناك شعائر تقام في الأفراح والولادات...، أما ملخص ما عرفه العلماء،ولنأخذ مثلاً تعريف سماحة المرجع الديني الكبير آية الله العظمى الشيخ بشير حسين النجفي (دام ظله): الشعائر هي التي حفظت وتحفظ الإسلام، وأنها في خدمة الدين، وكما يصفها (دام ظله) في موقع آخر: هي الأمور التي تساعدنا على الهداية إلى الله وإلى أوليائه ولو بإحياء ذكرهم.

وبالنسبة إلى الشيعة ومنذ أن سال دم الإمام الحسين - عليه السلام - وأهل بيته وأصحابه في كربلاء يرفعون راية الرفض لمشروع الظلم، وهذه الراية وهي الشعائر عبارة عن تخليدٍ لذكر الإمام الحسين - عليه السلام - وبطولاته في كربلاء، حيث يعتبر ذلك اليوم انطلاقة للشعائر الولائية التي مثلت انعكاساً لرفض أي حكم ظالم وصارت الجماهير على امتداد التاريخ تزحف يوم عاشوراء إلى كربلاء لتجدد البيعة للإمام الحسين - عليه السلام - لأنها وجدت في أبي الأحرار رمز الثوار، حيث رسخت ثورة الإمام في قلوب وعقول الناس جيلاً بعد جيل، وبقيت كلماته مثلاً للبطولة، ومشروعاً في كل أنحاء العالم. فكان من الطبيعي أن تشكل هذه الثورة تهديداً لأصحاب العروش ومحبي السلطة بشكل مباشر، فسعوا جاهدين إلى طمس وإخفاء ومحو آثار كل الشعائر التي لها صلة بالإمام الحسين - عليه السلام -، مستخدمين أبشع الوسائل في ذلك؛ لأنها تعد الصوت الناطق باسم كل المظلومين من قبل الحكام والطواغيت.

وكذلك اكتسبت هذه الشعائر ديمومتها وبقاءَها من حديث النبي محمد صلى الله عليه وآله عندما قال: (إن لقتل الحسين حرارة في قلوب المؤمنين، لا تبرد أبداً).

وتذكر المصادر التاريخية أن أول من أقام مأتماً على الإمام الحسين - عليه السلام - هو جده رسول الله صلى الله عليه وآله، ونلاحظ من ذلك أن الرسول هو أول من بكى على سبطه الإمام الحسين - عليه السلام - وكذلك أمير المؤمنين علي - عليه السلام - وهناك الكثير من الأحاديث عن النبي والأئمة الأطهار في فضل زيارة الحسين - عليه السلام - والبكاء عليه والدعاء لزواره والحث على إقامة المأتم من خلال وصاياهم - عليه السلام - لأصحابهم والموجودة بالعشرات في الكتب المعتبرة.

ويذكر التاريخ أيضاً، أن أول مأتم أقيم بعد واقعة الطف حضره كُل من زوجات وأخوات وبنات الإمام الحسين - عليه السلام -، وقد عقد ذلك المأتم في العراء فوق ساحة المعركة، كما وأقيم مأتم على طول الطريق عندما سبيت النساء أسرى إلى الشام، حيث كنَّ يندبن قتلاهن وينشرن مظلومية أهل البيت - عليهم السلام -، حتى أصبحت كلمات العقيلة زينب - عليه السلام - في الكوفة ودمشق الزيت الذي أضاء مسار ثورة الإمام الحسين - عليه السلام - ومناراً لكشف الزيف وحديثاً حير العلماء والخطباء.

وانتقل المأتم الحسيني إلى المدينة المنورة، وكانت

أول صارخة فيه على الحسين عندما استشهد بكربلاء أم سلمة (رضوان الله عليها) زوج النبي صلى الله عليه وآله، وأقامت أول مأتم للحسين - عليه السلام - في المدينة المنورة، وكثر الموالون والمحبون يأتون جماعات ويحضرون المأتم ويقدمون تعازيهم لأهل بيت النبوة.

واستمرت المآتم ومجالس العزاء بالانعقاد وتعاظم صداها على طول البلاد وعرضها للتعبير عن حالة الغضب الشعبي، وعلى الرغم من كل الصعوبات التي واجهت هذه المآتم من قبل الحكام في ذلك الوقت وإلى يومنا هذا، ما زالت هذه المسيرة خالدة.

أما بالنسبة إلى أول زائر لقبر الإمام الحسين - عليه السلام - تروي الروايات التاريخية أن عبد الله ابن الحر الجعفي لقرب موضعه منه قصد الطف ووقف على الأحداث ونظر إلى مصارع القوم فاستعبر باكيا ورثى الحسين - عليه السلام -، وأن أول من قرأ الشعر على مصيبة الحسين - عليه السلام - هو الشاعر سليمان بن قته العدوي التيمي ، ليليه كبار الشعراء والعلماء أمثال: (عقبه بن عمرو السهمي،السيد إسماعيل الحميري، والكميت بن زيد الاسدي، والشافعي، ودعبل الخزاعي، وأبو فراس الحمداني، والشريف المرتضى، والشريف الرضي، وأبو العلاء المعري، وصولاً إلى الجواهري، وإلى ما شاء الله...

وبعد كل هذه التطورات نشطت وبصورة ملحوظة دعوات الثأر للحسين - عليه السلام - وصحبه وكثرت المجالس التأبينية والمآتم، حيث نلاحظ أن هذه المآتم كانت أحد الأسباب لظهور الثورات ومنها ثورة (التوابين) ففي ربيع الأول عام (٦٥هـ) وفي عهد عبد الملك بن مروان أحد حكام بني أميه ظهرت هذه الثورة (بقيادة سليمان ابن صرد الخزاعي) الذي قاد ثورة ضد الحكم الأموي بعد واقعة الطف، حيث اعتبر التوابون أنفسهم بأنهم خذلوا الإمام الحسين - عليه السلام - في واقعة الطف ولم يناصروه، وبعد استشهاد الإمام اعلنوا الثورة على الحكم الأموي للتكفير عن الخطيئة التي ارتكبوها في عدم الوقوف مع الإمام ومناصرته، وأعلنوا التوبة ومنها جاء اسم التوابين وكان شعارهم (يالثارات الحسين) فأصبح هذا الشعار هتافاً جماهيرياً تطلقه آلاف الحناجر في وجه الحكم الأموي، وأخذ يكبر يوماً بعد يوم فشكل أول نواة لشعار الثورات الإسلامية، ولم تنفع أساليب القمع لإسكات هذا الشعار الذي أصبح شعار الكثير من الثورات التي تلت ثورة التوابين مثل ثورة (المختار الثقفي) التي أخذت الثأر من قتلة الإمام الحسين - عليه السلام - بقتل كل من شارك ووقف ضد الإمام الحسين في واقعة كربلاء.

وبعد سقوط الدولة الأموية وظهور العباسيين على الساحة وتوليهم الحكم بدأت فترة حرية مؤقتة للشيعة لأداء شعائرهم، حيث أنفسح لهم المجال لزيارة المرقد الشريف بكربلاء، وإقامة المناحات حوله، وإظهار حزنهم في العشرة الأولى من محرم، وخاصة في يوم عاشوراء لتذكر اليوم المشؤوم، ولكنها كانت فترة قصيرة حيث جار الحكم العباسي على المرقد الشريف في كربلاء وزائريه ومقيمي المناحات والمآتم على الحسين - عليه السلام -، بصورةٍ لم يفعلها الأمويون أيام سلطانهم وطغيانهم حيث عمدوا إلى النيل من قبره المقدس، فأمعنوا في القبر تخريباً وحاولوا دفن ذكريات مقتله الأليم وإقامة المأتم والمناحات.

ففي عهد المنصور الدوانيقي مُنع الزوار من زيارة الإمام الحسين - عليه السلام - وإقامة المآتم، وكذلك أمر بهدم القبر الشريف بخلاف سلفه أبي العباس السفاح الذي ساير الشيعة كثيراً ليستعين بهم ضد بقايا الأمويين وسمح لهم بإقامة الشعائر، ولكن في عهد (هارون العباسي) تغير الحال، فأمر بهدم القبر وقطع شجرة السدرة التي كانت بجوار القبر سنة (١٧١هـ) والذي منع إقامة المآتم والمناحات سواء على القبر أو في دور الشيعة وبقي الحال على هذا المنوال حتى موته سنة (١٩٣هـ)، وفي عهد (جعفر المتوكل) حفيد هارون الذي افتتح أعماله في مطاردة الشيعة وتضييق الخناق عليهم، فانه عمل على هدم القبر المقدس عدّة مرات وحرث القبر وكان يقتل زائري القبر ويمثِّل بهم شر تمثيل، وبعد سقوط الدولة العباسية وصعود (البويهيين) إلى السلطة في القرن العاشر الميلادي، سنة (٩٦٣م، ٣٥٢ هـ) ولأول مرة في التاريخ، أقيمت مراسم رسمية وفريدة في يوم عاشوراء، وأول من جعل يوم العاشر من محرم يوم حزن لذكرى موقعة كربلاء بصفة رسمية هو (معز الدولة البويهي) حيث تنفس الشيعة الصعداء وأصبح الإعلان عن شعائرهم بذكرى عاشوراء أمراً متاحاً، وأخذ الشيعة يمارسون طقوسهم بحرية كاملة وبصورة علنية، حيث أمر معز الدولة بغلق الأسواق.. ووضعت الجرار في الشوارع والطرق لسقي عابري السبيل والعطشى، وعلى أثر مجيء الصفويين إلى الحكم في إيران في بداية القرن السادس عشر الميلادي وإعلان المذهب الشيعي الإثني عشري مذهباً رسمياً للبلاد (قامت بالمراسم بيوم عاشوراء في كل عام ثم تطورت مراسم العزاء خلال القرن التاسع عشر وانتشرت في جميع أنحاء إيران، وخلال حكم السلاجقة والعثمانيين أصدر الولاة في العراق مراسيم لمنع أو تحريم أو التضييق على مراسم العزاء الحسيني، مما أجبر شيعة بغداد على أن يقيموا مجالس التعزية في بيوتهم ولكن بصورة سرية، خوفاً من السلطات العثمانية خصوصاً في بغداد والكاظمية، وبقي الحال كما هو عليه حتى انعقاد صلح عام (١٨٢١م) بين داود باشا والحكومة الإيرانية، فانتهز البعض هذه المناسبة فأقاموا مجالس العزاء علناً.. وكان الشيخ موسى كاشف الغطاء أول من أقام مجلس عزاء في داره بالنجف الأشرف، وبعد الإطاحة بالمماليك وسقوط داود باشا تم تعيين علي رضا والياً على العراق، وكان هذا الوالي يميل إلى التشيع ويحب الإمام علياً - عليه السلام - وولده فسمح بإقامة مجالس العزاء الحسيني الذي أخذ بالنمو والتطور تدريجاً، حيث كان هذا الوالي يحضر بنفسه مجالس التعزية التي تقام في البيوت وبشكل علني، مما أعطى دفعاً قوياً لتطورها وانتشارها ثم امتدت إقامة المجالس الحسينية بعد ذلك إلى المساجد والمدارس الدينية وأضرحة الأئمة - عليه السلام -، وفي ذلك الوقت نشأت مواكب المسيرات الشعبية (اللطم)، وكان أول موكب هو للشيخ محمد باقر أسد الله المتوفى سنة (١٨٤٠م) في الكاظمية المقدسة، أما في كربلاء فإن أول موكب كان بإشراف آية الله الشيخ محمد جواد البلاغي، وعنه أخذت وتوسعت إلى ما هو عليه الآن، واستمرت مجالس العزاء والمواكب وبقيت الشعائر الحسينية تمارس بعد حكم الوالي علي رضا إذ كان الولاة بعده على خطه، حتى جاء مدحت باشا الذي حاول منع هذه الشعائر ولكن محاولته باءت بالفشل، وقد ترسخت هذه الشعائر وأخذت طابعاً جماهيرياً وخاصة في المدن المقدسة (النجف الاشرف، وكربلاء والكاظمية). وإلى جانب مجالس التعزية أقيمت مواكب اللطم وضرب الزنجيل والتطبير وتمثيل واقعة الطف ومقتل الإمام الحسين - عليه السلام -.

وأما بالنسبة للحسينيات فقد بنيت أول حسينية في الكاظمية في عام (١٨٧٦م)، وهي حسينية الحيدرية، وفي كربلاء تم بناء أول حسينية عام (١٩٠٦م)، ثم تعددت الحسينيات في المدن المقدسة واستمرت مواكب العزاء الحسينية خلال الاحتلال الانكليزي للعراق وبعد تأسيس المملكة العراقية عام (١٩٢١م) أعلنت الحكومة العراقية يوم عاشوراء عطلة رسمية في عموم العراق لأول مرة وسمحت بإقامة مجالس العزاء والشعائر الباقية، ولكن مع بداية كل محرم كانت الانفعالات تشتد مع اشتداد مراسيم العزاء الحسيني الذي يتحول إلى تظاهرة ضد الظلم فكانت السلطات بدورها تحاول السيطرة على مواكب العزاء ومنع بعضهم منها واتخاذ إجراءات صارمة ضد خطباء المجالس الحسينية الذين يرفعون أصواتهم منددين بالظلم، وفي عام (١٩٢٨م) حاولت السلطات منع الشعائر الحسينية، لكن الجماهير التي تعودت حناجرها على الهتاف (يا حسين) كسرت طوق المنع، وخرجت في المواكب لتؤكد أن ثورة الحسين لم تكن مجرد معركة بين فئتين في انعزال عن المجتمع، بل إنها كانت تمثل رفضاً قاطعاً وتحدياً لكل أنواع الظلم والاستبداد، وموقفاً ثورياً أعاد إلى الإنسان كرامته المهدورة فكانت هذه الشعائر تزيد مبادئ الثورة رسوخاً في الواقعين الاجتماعي والسياسي.

وبعد سلسلة من المحاولات اليائسة في العهد الملكي للتضييق على الشعائر الحسينية عادت مواكب العزاء عام (١٩٥٨م) وفي عام (١٩٦٨م)، أظهرت السلطات تسامحاً تجاه العزاء الحسيني في محاولة لاستمالة الجماهير واحتواء مشاعرها، لكنهم بعدها بدأوا يضيقون الخناق تدريجيا في محاولات دنيئة لطمس الشعائر الحسينية وتقييد حركتها ومراقبتها وتحديد مدة اللطم في المواكب وكذلك تحديد مكبرات

الصوت التي تنصب في الحسينيات ومواكب العزاء، كما كانت هناك محاولات لتمرير شعاراتهم البغيضة من خلال الشعائر الحسينية.

وفي عام (١٩٧٥م) منعت السلطات البعثية جميع المواكب الحسينية من القيام بشعائرها ليلة العاشر من محرم، غير أن المواكب في النجف الاشرف ضربت القرار البعثي عرض الحائط، وخرجت بعد منتصف الليل إلى الصحن الحيدري الشريف لأداء مراسيم العزاء، فحصلت مواجهات مع السلطة تم خلالها اعتقال عدد كبير من الأشخاص وفي العشرين من صفر من عام (١٩٧٧م) قامت السلطة البعثية بمنع مسيرة السير على الأقدام من النجف الاشرف إلى كربلاء المقدسة لزيارة الأربعين، غير أن الجماهير تحدت السلطة فخرج الآلاف وواصلوا مسيرتهم إلى كربلاء وهي (تهتف يا حسين يا حسين، لو قطعوا أرجلنا واليدين نأتيك زحفاً سيدي يا حسين)، وذلك تحدياً وإشارة لما فعله بنو العباس بأتباع أهل البيت - عليه السلام - آنذاك بقطع الأرجل واليدين لكل من يزور الإمام الحسين - عليه السلام -، وفي سنة (١٩٨٠م) بدأت السلطة باعتقال عدد كبير من مقيمي المواكب والخطباء والشعراء والرواديد وإعدام الكثير منهم كما قامت بإغلاق الحسينيات والمدارس الدينية، مما اجبر الكثير من أتباع أهل البيت إلى الهجرة خارج العراق، ولكن رغم كل المعاناة في الخارج لم يترك أتباع أهل البيت - عليه السلام - هذه الشعائر، بل أخذوا يمارسونها في المهجر، وبذلك أصبح لهم دور في نشر مذهب أهل البيت - عليه السلام - في الخارج وأخيراً انتهت هذه الفترة المظلمة التي كانت أشد فترة عاشتها الشعائر الحسينية على امتداد تاريخها عام (٢٠٠٣م) بسقوط الصنم.

ولم تقتصر تلك الشعائر على العراق وحسب، بل امتدت إلى بلدان أخرى، فالمقريزي في خططه يذكر (إن شعار الحزن يوم العاشر من المحرم كانت أيام الإخشيديين، واتسع نطاقه في أيام الفاطميين، فكانت مصر حيث تعطل الأسواق، ويجتمع أبناء الكنانة ليأتوا إلى مشهد أم كلثوم والسيدة نفيسة وهم نائحون باكون).

وفي الجزائر والمغرب يقوم البعض بتوزيع (هريسة عاشورا) على الفقراء والجيران، ولا يعلم أحد عن معنى (عاشورا) سوى أن مناسبة دينية كان الأجداد يحتفلون بها.

وهكذا كانت تقام الشعائر في لبنان وتحديداً في جبل عامل، خاصة يوم عاشوراء احتفالات عديدة وبصورة مختلفة وكذلك في أغلب دول الخليج العربي. فقد عرفت البحرين إقامة المجالس الحسينية منذ زمن مبكر، حيث كان البحرانيون يقيمون المآتم في بيوتهم ومساجدهم، ويستخدمون مصطلح (التحاريم) المتداول في الأوساط الشعبية، وهو مصطلح أطلقه أهل البحرين على ذكرى ولادة الأئمة من أهل البيت وكذلك على وفياتهم، وحيث تتوقف الأعمال وتغلق الأسواق يومي التاسع والعاشر من شهر محرم من كل عام، ويعتبران عطلة رسمية تعطل فيها دوائر ومؤسسات الدولة، وكذلك دوائر القطاع الخاص والمتاجر..

كما وتقام المآتم الحسينية في عدد كبير من مدن عُمان خلال العشرة الأولى من شهر محرم، أما في الهند فيتفق أغلب المؤرخين على أن بداية الاحتفالات بذكرى استشهاد الحسين في الهند تعود إلى زمن تأسيس الدولة المغولية في بداية القرن السابع عشر، وبالنسبة لباكستان فقد بدأت تلك الاحتفالات في القرن الرابع عشر الميلادي، وخصوصاً في منطقة (بلتستان) المعروفة باسم (التبت الصغرى) حيث أقيمت الحسينيات في كل بقعة من بقاعها وتسمى هناك (مأتم سرائي) ويسمى القارئ (سوز خوان) وأكثر ما تبدأ المجالس بعد ذكر النبي صلى الله عليه وآله وآله بقراءة شيء من الشعر، أما في اندونيسيا فإن ذكرى استشهاد الحسين - عليه السلام - في شهر المحرم فيه حرمة كبيرة لدى المسلمين هناك بوجه عام ويسمى شهر المحرم (سورا). ويطلق على المأتم الحسيني في سومطرة ذكرى (التابوت). و شهر محرم وصفر من كل سنة عند الكثير من الاندونيسيين شهران محترمان لهما مكانتهما في القلوب ولا يقيمون فيهما أفراحاً، ولا يعقدون زواجاً ولا يجرون زفافاً.. فالمعتقد السائد أن من أقام أفراحاً في هذين الشهرين قد يصيبه نحس، أما في بورما فيحتفل الشيعة بذكرى استشهاد الحسين من أول محرم، وفي بريطانيا، فإن أول مجلس عزاء حسيني أقيم هناك كان في العام (١٩٦٢) وذلك في حي (ريجنت موسك) القديم... ويذكر أن أول من قرأ واقعة الطف هو البريطاني (عبد الله لبنس هوبت)، الذي كان كولونيلاً في الجيش البريطاني وعاش في العراق لمدة خمس سنوات، وفي أثناء إقامته هناك تعرف على مراسم العزاء الحسيني التي كانت تقام في المدن العراقية، ولاحظ أن كثيراً من الشيعة يذهبون لزيارة المشاهد المقدسة في النجف وكربلاء والكاظمية، مما أثار حب الاستطلاع لديه، الأمر الذي دفعه لدراسة الإسلام، وانتهى إلى اعتناقه على المذهب الإمامي الإثني عشري، ولذلك عندما عاد إلى بريطانيا حرص على إقامة هذه المجالس وكان أول من قرأ رواية مصرع الحسين في العاصمة البريطانية.. وبذلك نستطيع أن نقول: إن الشعائر الحسينية خالدة ما بقي الدهر.

الإمام عليُ بن الحُسَين زين العابدين - عليه السلام - في إطلالة معرفية وجيزة: في المنهج والاعتبار (التكون الذاتي والصيرورة).

مرتضى علي الحلي

ولد الإمام علي السجاد - عليه السلام - في الخامس من شهر شعبان من سنة (٣٨هـ)، وهو الإمام الرابع من سلسلة أئمة أهل البيت - عليه السلام - المعصومين بنص القرآن الكريم الذي قال الله تعالى عنهم: (إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً)، وهو - عليه السلام - مشمول قطعاً بعنوان (أهل البيت المعصومين- عليه السلام -)، فعن ابن عباس قال في خصوص هذا النص القرآني الشريف: إنها نزلت في علي، وفاطمة، والحسن، والحسين - عليه السلام -، ولا يقال: المراد بها (أي بعنوان (أهل البيت) النساء، لأن صدر الآية، وعجزها، دال عليهن. ولأنا نقول: لا يلزم من ذلك، إرادة النساء، لأن الكناية صريحة في التذكير، وليس يبعد أن يخرج من معناه إلى غيره، ثم يعود إليه، كما قال ابن عباس: نزل القرآن بإياك أعني واسمعي يا جارة، ومع انتفاء الرجس، يكون ما أفتوا به حقاً، لأن الرجس يقع على كل ما يكره.

هذا على مستوى مشموليته - عليه السلام - بنص القرآن الكريم بالعصمة والإمامة المختصة بأهل البيت المعصومين - عليه السلام - أما على مستوى السنة النبوية الشريفة فمنها قول النبي صلى الله عليه وآله: (في كل خلف من أمتي عدل من أهل بيتي ينفي عن هذا الدين تحريف الغالين وانتحال المبطلين، وأن أئمتكم وفودكم إلى الله (عز وجل) فانظروا من توفدون في دينكم)، وقوله صلى الله عليه وآله: (مثل أهل بيتي، كمثل نجوم السماء، فهم أمان لأهل الأرض، كما أن النجوم أمان لأهل السماء، فإذا ذهبت النجوم، طويت السماء، وإذا ذهب أهل بيتي خربت الأرض، وهلك العباد)، وقوله صلى الله عليه وآله: (إني تارك فيكم الثقلين، ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا، كتاب الله، وعترتي أهل بيتي، وأنهما لن يفترقا، حتى يردا علي الحوض)، وقوله: (يا علي الإمامة فيكم، والهداية منكم)، وقوله صلى الله عليه وآله: (من أهل بيتي اثني عشر نقيبا نجباء، محدثون، مفهمون، آخرهم، القائم بالحق عليه السلام)

وقوله صلى الله عليه وآله: (إن الله تعالى اختار من الأيام يوم الجمعة، ومن الشهور شهر رمضان، ومن الليالي ليلة القدر، واختار من الناس الأنبياء، واختار من الأنبياء الرسل، واختارني من الرسل، واختار مني علياً، واختار من علي الحسن، والحسين، واختار من الحسين الأوصياء، وهم تسعة من ولده، ينفون عن هذا الدين تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين)، وعن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: (إني أولى بالمؤمنين من أنفسهم، ثم أخي علي بن أبي طالب أولى بالمؤمنين من أنفسهم، فإذا استشهدنا فابني الحسن أولى بالمؤمنين من أنفسهم، ثم ابني الحسين أولى بالمؤمنين من أنفسهم، فإذا استشهد فابني علي أولى بالمؤمنين من أنفسهم - وستدركه يا علي - ثم ابنه محمد بن علي أولى بالمؤمنين من أنفسهم وستدركه يا حسين)، وفعلاً أدرك الإمام الحسين - عليه السلام - حفيده الإمام الباقر - عليه السلام - إذ تذكر الروايات أنه - عليه السلام - ولدَ سنة (٥٧هـ) وحضر الطف مع الحسين - عليه السلام - وأبيه زين العابدين سنة (٦١هـ)، وعن الحسين بن علي - عليه السلام - أيضاً قال: (دخلت على جدي رسول الله صلى الله عليه وآله فأجلسني على فخذه، وقال لي: إن الله اختار من صلبك يا حسين تسعة أئمة تاسعهم قائمهم، وكلهم في الفضل والمنزلة عند الله سواء)، وعن عبد الله بن عباس قال (سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: (أنا وعلي والحسن والحسين وتسعة من ولد الحسين مطهرون معصومون)، وقال الزهري: ((لم أدرك أحدا من أهل هذا البيت أفضل من علي بن الحسين - عليه السلام -).

ومن هنا جسدت شخصية الإمام زين العابدين - عليه السلام - حقيقة الإنسان والإمام المعصوم العابد والملتزم بمنهج ربه تعالى، حيث اعترف التاريخ المؤالف والمخالف بأنه رأى علي بن الحسين - عليه السلام - كأنه النبي محمد صلى الله عليه وآله في محراب عبادته في الثلث الأخير من الليل، أو كأنه النبي في غار حراء، ويُذكَر أنه كان إذا صلى تُحلق روحه الشريفة في ملكوت الله تعالى، فلم تكن صلاته مجرد أن يقف ببدنه مستقبلاً القبلة فحسب، بل كانت روحه تستقبل الله تعالى حقيقة وكان له من الذوبان والحضور الحقيقي في محضر الله تعالى ما لا ينكر، ولذا لُقبَ - عليه السلام - بـ(زين العابدين) و(السجاد).

وفي هذا الصدد قال مالك: (سمي زين العابدين لكثرة عبادته)، ومن خصائصه - عليه السلام - كان إذا رأى شخصاً لا أهل له أو غريباً فقيراً أو مسكيناً أو شخصاً لا يعتني به احد فأنه يُظهر له المودة ويلاطفه ويأتي به إلى بيته - عليه السلام - ويقول ابن اسحاق في هذا الشأن: ((كان أهل بيت بالمدينة يأتيهم رزقهم وما يحتاجون إليه لا يدرون من أين يأتيهم، فلما مات علي بن الحسين فقدوا ذلك))، وعن الإمام محمد الباقر- عليه السلام - قال: (إنه - عليه السلام - كان يخرج في الليلة الظلماء فيحمل الجراب على ظهره حتى يأتي باباً فيقرعه ثم يُناول من كان يخرج إليه، وكان يُغطي وجهه إذا ناول فقيراً لئلا يعرفه)، وهذان النصان الوثائقيان كاشفان عن عمق الأخلاق والورع في كينونة الإمام علي بن الحسين - عليه السلام - ومدى شعوره بحال الآخرين وترصد وضعهم المعاشي، والعناية بهم إنسانياً واجتماعياً، فنحن بمسيس الحاجة لئن نلمس تلك الأخلاقية الشريفة في شخصياتنا الذاتية والمجتمعية، وفي تعاطينا بعنوان الإسلام والإيمان مع الآخرين في حياتنا، إنطلاقاً من التأسي المُرشَد إليه قرآنياً بمنهج القدوة الحسنة وأعني في المقام الإمام علي بن الحسين- عليه السلام - ويذكر لنا التاريخ أيضاً أنه - عليه السلام - رأى في يوم ما جمعاً من المصابين بالجذام والكل كان يفر منهم حتى لا تسري إليهم العدوى، ولكن هؤلاء أيضاً عباد الله هذا ما يراه - عليه السلام - فدعاهم إلى بيته واعتنى بهم وكان بيته - عليه السلام - يعرف ببيت المساكين واليتامى، وبيت من لا حول له ولا قوة، فعن الإمام محمد الباقر - عليه السلام - قال عن أبيه- عليه السلام -: ((أنه كان يعول مئة بيت من فقراء المدينة، وكان يُعجبه أن يحضر طعامه إلى اليتامى والفقراء والمرضى والمساكين الذين لا حيلة لهم، وكان يُناولهم بيده ومن كان منهم له عيال حمله إلى عياله من طعامه) لاحظوا أحبتي كيف يؤسس الإمام - عليه السلام - بنفسه ولوحده لما يصح أن نُسميه اليوم بالمصطلح الجديد (شبكة حماية اجتماعية)، أو(منظومة تكافل إنساني واجتماعي)؟ فمئة بيت رقم كبير في قيمته ومعطياته وجودياً، ومع هذا نرى الإمام السجاد - عليه السلام - يتكفل بعناية مئة بيت حفظاً عليهم من الضياع، وصيانةً لكرامتهم البشرية، وتطبيقاً معهم لعدل الله تعالى في عباده.

فأقول فلو تأسينا بإمامنا - عليه السلام - وتكفلنا بيتاً واحداً فقط بحسب المكنة، لكان الحال اليوم في مجتمعنا أفضل بكثير ومرضي عند الله تعالى، نعم هذه مفاهيم وسلوكيات يؤصّلها الإمام - عليه السلام - في حياته كي تبقى قاعدة تستند إليها الدولة والإنسان في الفعل الاجتماعي والإنساني، وهذا السلوك الذي كان يُمارسه المعصوم مثل زين العابدين - عليه السلام - كان في وقت عصيب أيام دولة الطاغوت والظلم الأموي، حيث يُسيطر النظام فيه آنذاك على ثروات المسلمين ويصرفها في المحرمات، وعلى حواشيه وأتباع،ه تاركا الفقراء والمساكين يتضورون جوعاً وحرماناً.

شبهات في طريق الشعائر

١- البكاء: يقول المغرضون كفى بُكاءً على الحسين(عليه السلام)، فنحن نبكيه مُنذ ما يُقارب ألف وأربعمائة سنة، ما الفائدة من البكاء، يجب أن نترك البكاء ونشتغل بما هو أهم وهو توحيد كلمة المسلمين وجعلهم في صَفّ واحد ضد الكافرين والمُلحدين، والله سبحانه وتعالى يقول في كتابه: (وَاعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ اللهِ جَمِيعاً وَلاَ تَفَرَّقُواْ).

والجواب: ألا ينظر هؤلاء إلى الروايات الشريفة الواردة في الحث على البكاء وإقامة العزاء والتي تقدَّم بعضها، وأن الثورة الحُسينية هي الحافظة للدين من الضلالة والانحراف وبها استقام الإسلام وهي تعبير عن الأمر بالمعروف والثورة ضد المنكر.

ونقول لهم - أيضاً - لو سألتَ هؤلاء الذين تُريد أن تتحِد معهم وتتنازل عن بعض معتقداتك لأجلهم - لو سألتَهم - هل يعترفون بأن الشيعة مسلمون؟! أو موحدون؟! لا يصدر من أولئك خطاب لك بأنّك كذلك، بل إنهم يَعتبِروننا كافِرين وضالين، وإن أحسنوا معنا التعامل وتأدبوا يقولون بأنّنا روافض.

هل لك التنازل عن شيءٍ مِن مُعتقداتك لأجل إرضاء طائفة أو جماعة أو أشخاص، ألا تعلم أن الإسلام الحقيقي لا يتم من دون هذه الشعائر ونحوها من المعتقدات، الإسلام الأصيل هو الذي أنزله الله تبارك وتعالى على رسوله الأمين صلى الله عليه وآله وتممَّه بيوم الغدير حيث تنصيب الإمام أمير المؤمنين (عليه الصلاة والسلام) ولياً وإماماً لكل المسلمين ويستمر هذا الدين المستقيم عِبر الأئمة الطاهرين (صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين).

٢- الإنفاق: هؤلاء يقولون لا داعي للإنفاق على مَجالِس العزاء والمواكب وباقي الشعائر الحُسينية وزوّار الحسين - عليه السلام - وأنه يجب أن تُنفق هذه الأموال على الفقراء، وهم بذلك يُريدون أن يُوقفوا حركة الشعائر وليس همهم الفقراء.

٣- زيارة عاشوراء: هؤلاء يقولون يجب أن لا تُقرأ زيارة عاشوراء لأنَّها ضعيفة السند وغير موثوقة.

أقول: أنتم لا تعرفون معنى الرواية الضعيفة والقوية والضابطة في ذلك فأنتم لستم من أهل الاختصاص ولم تدرسوا علم الدراية والرجال والفقه والأصول وغيرها حتى تستطيعوا أن تُميّزوا الرواية الضعيفة من غيرها وإنما تتفوهون بكلمات لا تفقهون معناها وتردّون بذلك على الإمام المعصوم(عليه السلام) الذي وردت عنه هذه الزيارة وغيرها.

٤- اللّعن في زيارة عاشوراء: يقولون أن زيارة عاشوراء تشتمل على اللعن وهذا الأسلوب - اللّعن - لا يتناسب مع الإمام - عليه السلام - أن يتكلم به حتى لو كان الطرف الملعون كافِراً أو ناصبياً فيجب أن نلغي زيارة عاشوراء أو نحذف منها اللعن.

نقول لهم: اللّعن والبراءة لا بد منه في الدين والمُعتقدات حتى أن أصل التوحيد وكلمته (لا إله إلا الله) قد بُنيَت على ذلك، فلا يجوز أن أتمسَّك بالجزء الأول منها وأترك الآخر لأن ذلك يوجب أن أقول واعتقد بأنه (لا إله) وهو نفي الآلهة فيكون كفراً مع أن المفروض أنها كلمة توحيد، فلا يتم التوحيد إلا بالجمع بين التولي والبراءة فتقول (لا إله) وتقول بعدها مباشرةً (إلا الله) وهكذا التولّي للأئمة من أهل البيت (صلوات الله وسلامه عليهم) لا يتم إلا بِضَمِّ البراءة من أعدائهم وظالميهم، فاللعن والبراءة الواردان في زيارة عاشوراء وغيرها لا يمكن أن نتخلى عنهما لمجرد أهواء أو لإرضاء أعداء آل محمد- عليه السلام - وأتباعهم.

٥- التطبير والزنجيل: قالوا إن هذه الأفعال توجب ضرراً في النفس ولا يجوز الإضرار فلا يجوز التطبير والزنجيل بل واللطم الشديد والبكاء كذلك، فهو محرم.

يجب عليكَ أن تدرس في الحوزة العلمية في النجف الأشرف أو غيرها من الحوزات العلمية وتنظر أيّ ضررٍ هذا الذي هو محرم هل الضرر البسيط أو البليغ، وهل منه الضرر الذي يلحق بالنفس من الشخص لأجل تحقيق النجاة والسعادة لنفسه أو لأهله أو لشعبه ويكون لغرض عقلائي، أو لا؟!

أليس هكذا يفعل السياسيون؟ يُخاطرون بأنفسهم فيسافرون بالطائرة وغيرها مع وجود احتمال لسقوطها وهلاك ركابها مع أنهم لا يمتنعون عن ذلك ولا يذمهم العقلاء على فعلهم هذا لأنَّه صدر من أولئك المسافرين بها بغرَض عقلائي.

إضافة لذلك هناك رواية مُعتبرة يرويها معاوية بن وهب عن الإمام الصادق - عليه السلام -ويتبين فيها فضل المشي لزيارة الحسين(عليه السلام) ويدعو الله سبحانه أن يرحم أولئك الزوّار رغم ما أصابهم من أذى في زيارتهم يقول- عليه السلام -: (... اللهم... فارحم تلك الوجوه التي غَيَّرتها الشمس) أليس تغيّر الوجه ضرر على النفس؟!

نعم بما أن نهضة الإمام سيد الشهداء - عليه السلام - كانت لأجل الإصلاح وهداية الناس إلى الإسلام فإذا كانت هناك منطقة بعيدة قليلة المعرفة بنهضة الإمام(عليه السلام) الميمونة وأهدافها ويوجب إجراء شعيرة التطبير ونحوها عندهم تشويهاً لصورة الثورة الحسينية وإساءة الظن بها والحكم عليها بالإرهاب في الدين ونحو ذلك وكان هذا لجهلهم بالإسلام فهناك لا تفعل مثل هذه الشعائر، في تلك المنطقة فقط.

وأما دعوى أن التطبير والزنجيل ونحوهما يوجب استهزاء الآخرين وسخريتهم ولذا يجب أن نترك مثل هذا النوع من الشعائر، ففيها إن كل طائفة وقوم لهم أسلوبُ، لإحياء مناسباتهم وذكرى كبرائهم وعظمائهم، ولا يوجب ذلك انتقاداً من الآخرين أو سخريتهم واستهزاءهم، وكذلك نحن لنا أسلوبنا وطريقتنا في إحياء الشعائر.

بل إن الشعائر الحسينية تختلف من مكان لآخر حسب عادات أهالي ذلك المكان وتقاليدهم، فكل عمل يوجب أحياء لشعائر الحسين (صلوات الله وسلامه عليه) وإن أوجبَ ضرراً فهو راجح.

ولكن ينبغي أن يُلتَفت إلى أن إحياء الشعائر يجب أن يكون بطريق لا يتنافى مع الإسلام ومبادئه بل يكون ذلك مشجعاً نحو التمسك بها، فالمواكب التي تخرج للعزاء أو الزيارة إذا حضر وقت الصلاة وهي في الشارع مثلاً ينبغي أن لا تؤخِّر الصلاة عن وقتها، بل مباشرة يتصدى أحد أفراد الموكب ليؤذن ويصلون جماعة إن أمكن وإلا فرادى، وليكن لهم أسوة بصاحب العزاء سيد الشهداء(عليه السلام) فإنه لم يؤخر الصلاة عن وقتها - فضلاً عن تركها - حتى في يوم عاشوراء والحرب قائمة.

بل هكذا هو حال السيدة الحوراء زينب- عليه السلام - فإنها - كما في بعض الروايات - لم تترك صلاة الليل حتى في ليلة الحادي عشر من مُحرم رغم ما مَرَّ عليها من مصائب ومحن.

بل لعل الإمام الحسين- عليه السلام - لعلمه بأنها- عليه السلام - لا تترك صلاة الليل قال لها - كما في بعض الروايات -: (اذكريني في صلاة الليلة).

واعلموا أن لزائر الحسين(عليه السلام) والمقيم عزائه والباكي عليه أجراً عظيماً وسأنقل لكم الرواية التي يرويها معاوية بن وهب عن الإمام الصادق (صلوات الله وسلامه عليه).

يقول معاوية بن وهب: استأذنتُ على أبي عبد الله(عليه السلام) فقيل لي: أدخل، فدخلتُ فوجدتُهُ في مصلاه في بيتِهِ فجلستُ حتى قضى صلاته، فسمعتُهُ وهو يُناجي ربَّه وهو يقول:

(اللهم يا مَن خصَّنا بالكرامة ووعدنا بالشفاعة وخَصَّنا بالوصية، وأعطانا عِلمَ ما مضى وما بقيَ، وجَعَلَ أفئِدةً من الناس تهوي إلينا، اغفِر لي ولأخواني وزوّار قبر أبي عبد الله الحسين، الذين أنفقوا أموالهم وأشخصوا أبدانهم رغبةً في برّنا ورجاءً لِما عِندك في صلتنا وسُروراً(أدخلوه على نبيك) أنظر ماذا يقول الإمام(عليه السلام) يقول إن في هذا العمل الذي يقوم به الزائر إدخال السرور على قلب نبيك الأعظم صلى الله عليه وآله وما أعظمه من فعل حتى إنه يُسَرّ النبي.

ثم قال: (وإجابةً منهم لأمرنا، وغيظاً أدخلوه على عدونا).

يعني كما أن مِن آثار هذا العمل إدخال السرور على قلب الرسول(ص) ويُسعدهُ فيستحق به الثواب العظيم، كذلك مِن آثار هذا العمل هو أنه يوجب إدخال الغيظ على قلب العدو وله بذلك أجر وثواب.

ثم قال(عليه السلام): (أرادوا بذلك رضوانك، فكافِهِم عَنّا بالرضوان، وأكلأهم بالليل والنهار، وأخلف على أهاليهم وأولادهم الذين خُلِّفوا بأحسن الخَلَف، واصحبهم، وأكفهم شرَّ كل جبار عنيدٍ وكُلِّ ضعيف مِن خَلقِك وشديد، وشرِّ كل شياطين الأنس والجن، وأعطهم أفضل ما أملوا مِنك في غربتهم عن أوطانهم وما آثرونا بِهِ على أبنائِهم وأهاليهم وقراباتهم).

يعني أنه- عليه السلام - يسأل الله تعالى أن يُعطي زائري الحسين(عليه السلام) جميع ما أملوا من الله سبحانه على الأقل وفوق ذلك مَزيداً من العطاء والفضل، وقوله- عليه السلام - (في غربتهم عن أوطانهم) لأنهم قد يتركون أهليهم ويبتعدون عنهم لأيام أو شهور، كل ذلك يؤثرونه حباً بالحسين- عليه السلام -.

ثم قال- عليه السلام -: (اللهم إن أعداءنا قد عابوا عليهم بخروجهم فلم ينههم ذلك عن الشخوص إلينا خِلافاً مِنهم على مَن خالفنا، فارحم تلك الوجوه التي غَيَّرتها الشمس، وارحم تلك الخُدود التي تتقلَّب على حُفرةِ أبي عبد الله الحسين- عليه السلام -).

إن استطعت يا ولدي الزائر أن تضع خدك على تراب قبر الحسين(عليه السلام) يميناً وشمالاً فافعل حتى يكون خدك مرحوماً ومشمولاً بدعاء الإمام الصادق(عليه السلام).

ثم قال(عليه السلام): (وارحم تلك الأعين التي جرت دموعها رحمةً لنا).

انظر، هذا البكاء ممدوح ومطلوب حتى في أثناء زيارتك وأنت خارج بيتك سواء أكنتَ في الشارع أم عند قبر الحسين(عليه السلام) في أي مكان وليس كما يقول أصحاب الطائفة الثالثة أبكِ في بيتك فقط.

ثم قال(عليه السلام): (وارحم تلك القلوب التي جَزِعت واحترقت لنا)، أي قلوبهم محروقة لمصيبة الإمام الحسين.

ثم يقول(عليه السلام): (وأرحم تلك الصرخة التي كانت لنا).

الإمام(عليه السلام) يدعو الله جلَّ ثناؤه أن يرحم الصرخة التي تصدر لأهل البيت(عليهم السلام) ومصائبهم، كل صرخة سواء في البيت أو الشارع أو الحُسينية أو المسجد أو أي مكان آخر فإن الإمام(عليه السلام) يدعو لها بالرحمة.

ومعلوم أن الصرخة في اللغة هو الصوت المرتفع، وهذا حثٌّ على إقامة العزاء والبكاء والنوح في كل مكان ومهما ارتفعت الأصوات.

ثم قال(عليه السلام): (اللهم أني استودعك تلك الأبدان وتلك الأنفس حتى توافيهم في الحوض يوم العطش).

قال معاوية بن وهب: فما زال يدعو - وهو ساجد - بهذا الدعاء، فلما انصرف قلت: جعلت فداك لو أن هذا الدعاء الذي سمعتُ مِنكَ كان لِمَن لا يعرف الله لظننتُ أن النار لا تطعم مِنه شيئاً أبداً، والله لقد تمنيتُ أني كنتُ زرته ولم أحجّ.

فقال لي: (ما أقربك مِنه فما الذي يمنعك من زيارته؟).

ثم قال: (يا معاوية ولِمَ تدعْ ذلك؟)

قلتُ: جعُلت فداك لم أدرِ أن الأمر يبلغ هذا كله.

فهنا استكثر معاوية هذا الفعل من الإمام(عليه السلام) في حق زوّار الحسين(عليه السلام) فقال(عليه السلام):

(يا معاوية مَن يدعو لزواره في السماء أكثر ممّن يدعو لهم في الأرض).

واعلموا يا أولادي أن هناك قاعدةً تقول: إن لكل فعل رد فعل يساويه في القوة أو أقوى منه، وحيث أن المحاربين والمعارضين للشعائر الحسينية طوائف عديدة ويستخدمون وسائل كثيرة وهجومهم بقوة، فلابد أن يكون ردّ فعلنا أقوى من فعلهم ونحافظ على الشعائر الحسينية ونقيمها ونشجع عليها.

اللهم احشرنا في زمرة شيعة الحسين(عليه السلام) وارزقنا شفاعة الحسين(عليه السلام) ووفقنا دائماً لإحياء شعائر الحسين(عليه السلام) ونلهج بذكر الحسين(عليه السلام) ونقول حسين حسين حسين.

الطوائف النظرية لمشروع الشعائر الحسينية

في واحدة من المحاضرات التربوية والأبوية التي ألقاها سماحة المرجع (دام ظله) استعرض فيها الطوائف النظرية لمشروع الشعائر الحسينية، منقحاً في نفس الوقت من ابتعد عن الهدف الذي رسمته رسالة السماء، وذلك من خلال المشروع التضحوي الذي قدمه أبو عبد الله الحسين (عليه السلام)، وما إلى ذلك من أبعاد روحية وسياسية وتربوية واجتماعية وفردية.. هذا بغض النظر عن الأجر والثواب الذي أعده الباري (عز وجل) لمن يحيي شعائره تبارك وتعالى..

حيث نجد سماحة المرجع (دام ظله) يؤكد على ضرورة أن يأخذ الممارسون بعين الاعتبار الظرف المكاني والزماني في تهذيب وإرساء الشعائر الحسينية كرسالة محمدية أصيلة نحو العالم الإنساني ككل، وبالتالي إضفاء الصبغة الدعائية الواقعية للدين الإسلامي دون تحريف للمحتوى الذي ثار من أجله أبو الأحرار الإمام الحسين (عليه السلام) ومنهجه الإصلاحي لدين جده محمد (صلى الله عليه وآله وسلم).

من هنا سنأخذ القارئ الكريم إلى ما استعرضه سماحة المرجع في محاضرته التي ألقاها بمناسبة شهر محرم الحرام، وذلك للتهيئة والاستيعاب لرسالة الإمام الحسين الخالدة:

فقد قسم سماحته المجتمع الإنساني في موقفه تجاه ثورة الإمام الحسين (عليه السلام) إلى عدة طوائف أهمها:

(الطائفة المعادية):

طائفة تحارب وتعادي مذهب أهل البيت (عليهم السلام)، ويعتبرون نهضته على خلاف الشرع المقدس (والعياذ بالله)، ومن أمثال هؤلاء ابن تيمية وأتباعه كالقاضي شريح، بل ووصف بعضٌ (سيد شباب أهل الجنة) - والعياذ بالله - أنه خارج عن إمام زمانه (يزيد ابن معاوية)، وهذا مالا نستغربه من أعداء أهل بيت الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) وأفكارهم البالية، (فكل أناء بالذي فيه ينضح)، فإن بداية هذا الانحراف العقائدي جاء من جراء الابتعاد عن يوم الغدير..

(الطائفة البعيدة):

طائفة لا تؤمن بالإسلام ككل، أمثال: (المجوس والمسيح والهندوس وغيرها من الاعتقادات والحركات العلمانية)، وهم يعتبرون - في غالبهم - إن حركة الإمام الحسين (عليه السلام) هي حركة سياسية إصلاحية بحتة، يهدف من ورائها انتزاع الحكم من بني أمية، وفي أقل الأحوال إن (الإمام الحسين عليه السلام) يريد زعزعة النظام الأموي، وهنا نلاحظ أن هذه الطائفة أهون شراً من الطائفة الأولى، رغم عدم إعتقادها برسالة الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله وسلم)، فهم يعتبرون الإمام الحسين (عليه السلام) رجل سياسة (إصلاحي)، نهض لإصلاح الحكم الفاسد، فهم على العموم لا يخطئون الإمام رغم عدم اعتقادهم بإمامته.

(الطائفة الخطرة)

هم ممن يدعي الولاء لمذهب أهل البيت (عليهم السلام)، فبعضهم يقول: (يكفينا البكاء على الحسين (عليه السلام)، وذلك لمراعاة الوحدة الإسلامية، لنواجه أعداء الإسلام، فنحن يجب أن نراعي مشاعر غير أتباع أهل البيت (عليهم السلام) ونترك بعض الشعائر بحجة الوحدة الإسلامية! بل وتمادى بعضهم ليتآلف مع الطائفة الأولى، والعياذ بالله!

وهذه الطائفة بحسب قراءتي هي أشد ضرراً على أتباع أهل البيت (عليهم السلام)، فهي تريد أن تخفف الكثير من الشعائر الحسينية، وهي لا تعلم أنها تَنخر صرح أهل البيت (عليهم السلام) من الداخل، بل وتبدد روح الإسلام..

وهنا نقول لمن يريد أن ينسى ذاته بحجة اللهاج بالوحدة الإسلامية وبالأخوة ومراعاة الآخرين، هل سمعت من الطائفة الأولى أنها ترعى فيك إسلامك، فأين غيرتك على مذهب أهل البيت (عليهم السلام)، فهم يَصِمُوْنَنا بالروافض في أحسن أقوالهم، بل لا يرون أننا نستحق الحياة ويكفروننا.

فإن الدين الذي جاء به الباري (عز وجل) هو ما جاء به رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وانطلق بالغدير وانتهى بالإمام الحجة (عجل ا لله تعالى فرجه الشريف)، وإلا فلننادي بوحدة البشرية ككل ونتخلى عن إسلامنا ككل، فأين المانز الحقيقي للمذهب الحق؟ وهنا لا أخفيكم سراً، إن هناك عملاء يتلقون أموالاً لتهديم عقائد الشيعة وأتباع آل الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم)، أما خطاب الوحدة الإسلامية الحقيقي فإنه يتوجه للمؤمنين بطريق الله وطريق الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) وآل بيته الأطهار.

ثم قد يقال أن المشكلة في توزيع الأموال على المراسيم الحسينية دون توزيعها على الفقراء، نقول من الذي منع من الإنفاق على الفقراء؟

فالمخطِئون لزيارة عاشوراء مثلاً؛ ما هم إلا مخطِئون للمعصوم نفسه (والعياذ بالله)! فهو الذي أنشأ الزيارة.

وبخصوص الإضرار بالنفس وقاعدة (لا ضرر) فإنها مما احتّج به على إقامة الشعائر الحسينية معتبرين أن الحضارة الحديثة تخالف هذه الشعائر.

نقول لم لا ننظر إلى الفجائع التي تحدث بأوربا؟ ولو تنزلنا يجب أن نفهم أن المعنى الحقيقي للإضرار بالنفس إنما يقع بالضرر المعتد به كأن يؤدي إلى تعثر عضو من أعضاء النفس أو الجسد، وهذا ما اتفق على تحريمه.

فليس كل ما قد يضر بالنفس هو محرم، ألم نسمع بالتجار في العهد القديم حينما يركبون سفن قديمة - تعتبر غير صالحة للإبحار في أيامنا هذه - ويبحرون بها ولم نجد من حرم هذه التجارة آن ذاك.

هذا وأن هناك الكثير من الروايات المعتبرة كالتي رواها محمد بن وهب عن الإمام الصادق (عليه السلام)، حيث يبين فيه هيأة زوار الإمام الحسين (عليه السلام) إذ يقول الإمام الصادق (عليه السلام) عنهم: (اللهم ارحم تلك الوجوه التي غيرتها الشمس) فهنا نجد أن ثمة ضرر على النفس من جراء التعرض لأشعة الشمس ولكن الإمام الصادق(عليه السلام) يترحم على تلك الوجوه.

نعم إن ممارسة الشعائر الحسينية رسالة لنشر مظلومية قضية الإمام الحسين والمبادئ التي عمل بها (عليه السلام).

كما وبينا أن بعض الممارسات كشج الرؤوس (التطبير) في المناطق التي يجهلون بها قضية الحسين (عليه السلام) وتؤدي لوصم الإسلام بالإرهاب هنا نمنع من ممارستها أمام هؤلاء.

ثم إن لكل منطقة وزمان أسلوب خاص لإحياء سنن عظمائهم وقادتهم، يراعى بها طرقهم، فما مادامت هي شعائر لا تتخلف عن نشر مظلومية أهل البيت (عليهم السلام) فلن نتنصل عنها، بشرط أن لا تخالف الشارع المقدس، وأن تكون ذات جدوى ونفع في نشر مذهب آل بيت الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) وبهذا يجب حث أتباع أهل البيت على ممارسة الشعائر الحسينية بنحو يجذب الآخرين للدين، شريطة أن لا تتقدم على مبادئ الإسلام: كالصلاة، والصوم، والحج و..، فالحسين (عليه السلام) استشهد من أجل الصلاة، وهكذا أتباعه، يذكر أن زينب (عليها السلام) لم تترك صلاة الليل (المستحبة)، حتى في ليلة الحادي عشر من محرم الحرام، كما وأوصاها الإمام الحسين (عليه السلام) في أن تذكره في صلاتها.

ولأجل بيان فضل زيارة الإمام الحسين (عليه السلام) نتلو رواية صحيحة السند عن الإمام الصادق (عليه السلام)، وذلك لاستيضاح حال وصورة المعزين لآل بيت الرسول (عليهم السلام) من لسان الإمام الصادق(عليه السلام).

جاء عن الإمام الصادق (عليه السلام) إذ قولهُ وهو ساجد: (اللهم يا من خصنا بالكرامة ووهبنا الشفاعة وخصنا بالوصية وآتانا علم ما مضى وعلم ما بقي، وجعل أفئدة من الناس تهوي إلينا، اغفر لي ولأخواني وزوار قبر جدي الحسين، الذين أنفقوا أموالهم وأشخصوا أبدانهم رغبة في مودتنا ورجاءً لما عندك في صلتنا وسروراً أدخلوه على نبيك، وإطاعة لأمرنا وغيظاً أدخلوه على عدونا، أرادوا بذلك رضاك فكافئهم برضاك، واكفهم كل جبار عنيد ومن شر شياطين الجن والأنس، وما آثروه على آبائهم وأولادهم، اللهم إن أعدائنا عابوا عليهم خروجهم إلينا... اللهم ارحم تلك الوجوه التي غيرتها الشمس وارحم تلك الخدود التي تقلبت على الشمس وارحم تلك الخدود التي تقلبت على حفرة أبي عبد الله الحسين.

وارحم تلك القلوب التي جزعت واحترقت لنا، وارحم تلك الصرخة التي كانت لنا، اللهم إني أستودعك تلك الأبدان، إن من يدعو لزوار الحسين في السماء أكثر من يدعو لهم في الأرض.

اعلموا أن ردة الفعل في نشر مظلومية الحسين (عليه السلام) - يجب أن تكون بنفس الفعل أو أقوى، مادام أعداء أهل البيت (عليهم السلام) يسعون لتقليل شأن الحسين (عليه السلام

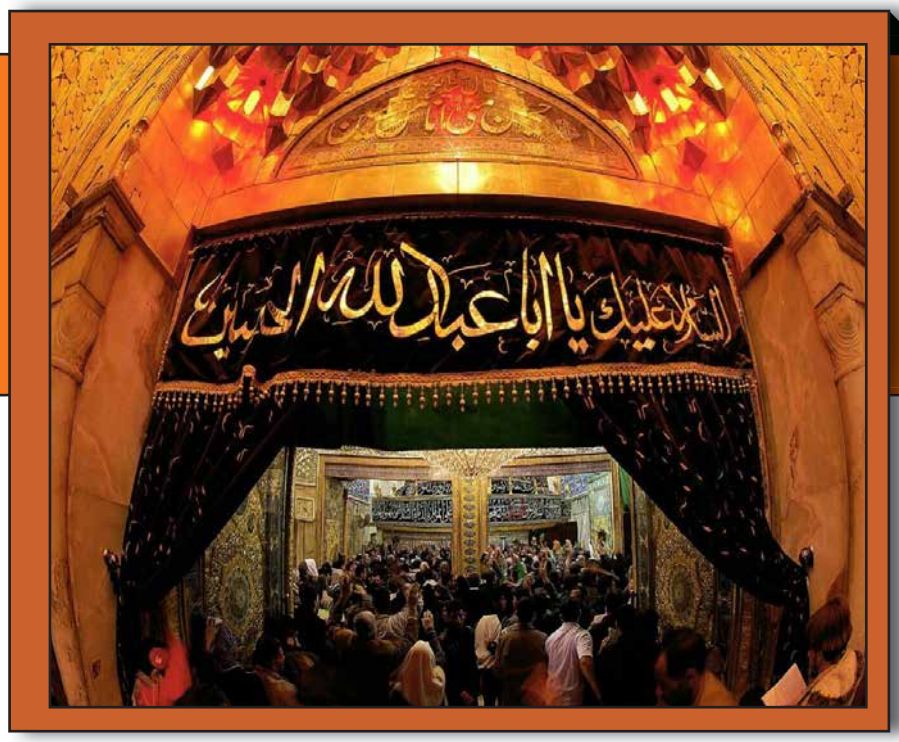

الحُسين - عليه السلام - مشروع الأنبياء (عليه السلام)

ليس من الإدعاء الفارغ أو الواهن أن نقول أن مشروع أبي عبد الله الحسين (عليه السلام) كان وما زال مشروعاً يَستكمل رسالات السماء، ويتمم عملها الإصلاحي، فما مِن عاقل لا يقر بأن الإسلام الخاتم هو أتمها وأكملها، وأن الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله هو خير خلق الله قاطبة، وأن من يتركهم لأمته من بعده هم خير الخلق أيضاً.

وبما أن الشيطان حاول ويحاول أن ينال بأحفاده وأولاده وأشجاره الخبيثة من عنصر الخير والصلاح، كان للخير وقفة تُعد هي الأولى في تاريخ الإنسانية قاطبة، فحيث يتجمع الشَّر كله كان الخير كله أيضاً، فحينما نجد أن المتربع على كرسي المُلك يزيد (لعنه الله) يقول بمليء فمه:

لعبت هاشم بالملك فلا خبر جاء ولا وحي نزل

ندرك أن الحسين - عليه السلام - محور ومنطلق لكل الخيرات، إذ إن ثورته الميمونة انطلقت لإحياء الإسلام والدين، حيث أن بني أمية (لعنهم الله) حاولوا الخلاص من الإسلام والقضاء عليه - بل وظنوا أنهم نجحوا في ذلك - لتذهب تعاليم الإسلام وجهود الأنبياء والمرسلين - عليه السلام - وخاصة النبي الأعظم صلى الله عليه وآله أدراج الرياح ويعودوا بالناس إلى الجاهلية، كأنه قضى على الرسالة والدين وهو يتجاهر بإنكار الوحي والرسالة، ويستشهد بقول ابن الزبعرى يوم أُحد:

ليت أشياخي ببدر شهدوا
جزع الخزاج من وقع الأسل

إلى أخرها من الأبيات التي أستنكفها واستحقرها.

هكذا ظن يزيد (لعنه الله)، ولكن الإسلام بقي حياً إلى هذه الساعة، ولا نجد مدينة مِن المدن الآن إلاّ ويُذكر فيها: (اشهد أن لا إله إلا الله، اشهد أن محمداً رسول الله صلى الله عليه وآله)، فقد بقي الإسلام حياً وخالداً.

وفي هذا الصدد يستذكر سماحة المرجع (دام ظله) عدة من النقاط الحيوية التي تبحث في سِر وكُنه ثورة الإمام الحسين (عليه السلام) إذ يقول: إن ثورة الإمام الحسين - عليه السلام - سبقها إعداد.

إذ إن نهضته - عليه السلام - لم تنشأ صدفةً أو إنها كانت وليدة ظروف خاصة اقتضت نهوضه - عليه السلام - بثورته المباركة، بنحو لم يكن هناك تمهيد لها مِن قبل، بل يظهر من التأمل في الفترة التي سبقت الثورة المباركة وما لحقها ورافقها أنها كانت لأسباب وكان لها تمهيد وإعداد دقيق مسبق.

ومن ذلك ما ورد في بعض الأخبار أنّ الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله أخبر بعض أزواجه كأم سلمة وغيرها بمقتل الحسين- عليه السلام - وكذلك أخبر أبويه - عليهما السلام - بذلك وما يترتب عليه من أحداث وآثار.

وهذا يعني أن نهضته - عليه السلام - كان مُخطَطاً لها قبل نهضته - عليه السلام - بفترة طويلة.

ولا أعلم من أين أخذت بنت الشاطيء في كتابها (بطلة كربلاء) أمراً ذكرته وهو أن أمير المؤمنين - عليه السلام - كان يُدَرِّس زينب - عليه السلام - القرآن وكان يذكر هذه القصة شيئاً فشيئاً، ولما استمر أمير المؤمنين - عليه السلام - في سرد القصة خشي عليها - عليه السلام - من أن تتأثر بالحادثة ولا تتحمل وقعها وهي في هذا العمر القليل اليافع، فقالت - عليه السلام - له: لا تخف يا والدي فقد أخبرتني أمي بها؟!!

تأملوا يا أخوتي وأولادي كم كان عمرها عندما أخبرتها الزهراء - عليه السلام - بذلك؟!

ونحن نعلم أن أمير المؤمنين - عليه السلام - شرط على زوج السيدة زينب - عليه السلام - عدم الممانعة في ذهابها مع الحسين - عليه السلام -، وكذلك أنْ يوفر ما تحتاجه - عليه السلام - لأجل ذهابها.

وهذه بعض الشواهد الكثيرة التي تثبت أنّ ثورة الحسين - عليه السلام - كانت مسبوقة بإعداد وتخطيط.

إطلالات ورؤى

أيها الإخوة ينبغي علينا أن نلتفت إلى أنفسنا ونُحَكِّم عقولنا، وننبذ الخلافات لعل الله يرحمنا ويدفع عنا شَرَّ أعدائنا.

وأريد أن ألفت النظر بمناسبة حلول شهر محرم الحرام إلى أمور يحتم الدين علينا الالتزام بها:

الأول: لا يخفى على المؤمن الأجر والثواب الموعود على لسان الأئمة الطاهرين - عليه السلام - لمن أقامَ العزاء على الإمام الحُسين - عليه السلام - ومن زارَه مطلقاً أو في عاشوراء ويوم الأربعين خاصةً، فقد اعتبر الإمام العسكري - عليه السلام - زيارة الحسين - عليه السلام - يوم الأربعين من علامات المؤمن، كما ورد عنهم - عليه السلام - أن الأنبياء والملائكة يتبركون بزيارته - عليه السلام - وأن الملائكة تدعو لزواره، وروي أن من ترك زيارة الحسين - عليه السلام - ولو خوفاً من أحد فإنه يرى من الحسرة يوم القيامة ما يتمنى لو كان قبره عند الحُسين - عليه السلام - كما أن الأجر والثواب الموعود على الإنفاق على خدمة الحُسين وزواره ما لا يَعرِف قَدَرَهُ إلا الله، وإنه يُعطيه بكل درهم أنفقه عشرة آلاف مدينة في الجنة، وإن الله سبحانه يقضي حوائجه ويحفظ ماله وولده، ومن مات في طريق زيارة الحُسين - عليه السلام - تُشارك الملائكة في تغسيله وتكفينه وتفتح له أبواب الجنة.

واعلموا أن من يسعى في خدمة الحسين - عليه السلام - يَشْفَع له سيد الشهداء، وروي انه يُوفَّق لزيارة شخصه - عليه السلام - بعد شفاعته له، فهلموا - شيعة أهل البيت - إلى رحاب سيد الشهداء وتزودوا به وانصروه بإقامة مجالس العزاء وتنظيم المواكب، وانتصروا به والله مولاكم وناصركم في حِلّكم وتِرحالِكم.

الثاني: يجب أن تكون المواكب ومجالس العزاء نزيهةً وخاليةً عن المقاصد الدنيوية وعن الشعارات السياسية التي لا تتلائم ونهضة الحُسين- عليه السلام - فإنَّ اتخاذ الدين وسيلةً للأغراض الدنيوية أبشع عمل ويندرج في أعمال المنافقين.

الثالث: تعارف في العصر الحاضر رسم الصور للمعصومين مما جعلها سبباً للسخرية والإستهانة بتلك الأنوار القدسية والوجوه النيرة (سلام الله عليها)، فاعلم أن رسم الصور لكل ذي روح إذا لم يكن عن طريق الكاميرا مُحرم عندنا، ثم نسبة هذه الصور إلى المعصومين زوراً وبُهتاناً معصيةٌ كبيرةٌ فيجب الإجتناب عن هذا العمل.

الرابع: يجب الاجتناب عن تشكيل التمثيليات التي يتظاهر أهلها بعرض واقعة الطف وتجسيد ما حدث يوم عاشوراء من المظالم والفجائع، فإن القصد حَسنٌ إلاّ أن الذي يحدث هو أن هذه التمثيليات تُسيء إلى أبطال الطف مما يبعث إلى الاشمئزاز، فمثلاً يؤتى بممثلة معروفة بسلوكها..... لتمثل زينب ابنة علي - عليه السلام - أو غيرها من شريفات البيت الطاهر، فإنا نرى في ذلك إساءةً بالغةً وطعناً في عمق قضية الحُسين - عليه السلام -.

الخامس: التطبير واستخدام الزنجيل إنما أبحناه حيث لا يستلزم تنفر الجهلة عن المبدأ الذي ضَحَى سيد الشهداء لأجله، ولم يكن هناك اطمئنان بالموت أو تعطل أي عضو من الأعضاء، فيجب التقيّد بهذه الملاحظات.

السادس: يجب أن لا تؤدي المواكب الحسينية ومجالس العزاء إلى الاستهانة بالصلاة وغيرها من الواجبات الأساسية في الإسلام، كما يجب أن لا يحصل الاختلاط والمزج بين الصنفين الرجال والنساء، فانه من مفاسد العصر ومخزيات الزمان.

السابع: بلغنا انه بدأ بعض من لا معرفة له بأحكام الدين أو لا حريجة له في الدين بصنع تماثيل لشهداء الطف أو فرس سيد الشهداء (ذي الجناح) أو فرس أبي الفضل العباس - عليه السلام -، فينبغي أن يُعْلم أن صنع التمثال المجسّم لأي ذي روح من الكبائر ولا تدخل الملائكة البيت الذي يوجد فيه تمثال، ويجب على المؤمنين الامتناع عن هذا العمل وأن لا يتسببوا الإساءة إلى المذهب والى قضية سيد الشهداء - عليه السلام -.

إقامة العزاء وفاء وأجر وبناء

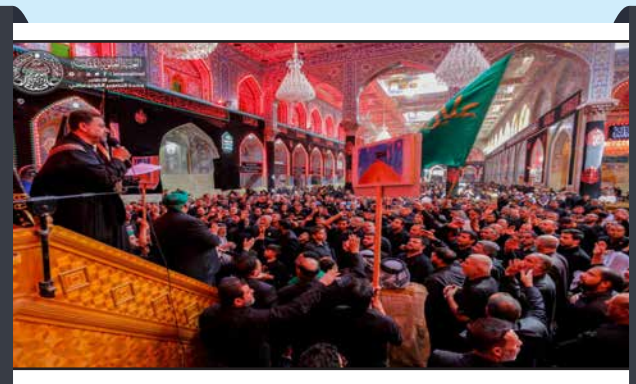

أن لكلمة الحسين (عليه السلام) وشخصه وثورته ومعطياته وعزائه اندماجاً متكاملاً في شخصية مرجعنا المفدى (دام ظله)، فنجد أن سماحته لا يترك مجلساً إلا ويتحفه بذكر أبي عبد الله الحسين - عليه السلام -، لترافقه عبرَته، وهكذا نجده طالما يؤكد على إقامة الشعائر الحسينية، ويؤكد عليها ويستشهد لها، ويسعى دائماً وأبداً في تشذيبها وتهذيبها لكي لا تبتعد عن الهدف السامي الذي رسمه أئمة آل بيت العصمة والطهارة ومغزى إقامة العزاء على الحسين وآله وأصحابه.

ولنقف عند جوانب من النفحات الروائية والوقفات التي أغدق علينا بها سماحة المرجع (دام ظله)، لندرك مكانة إقامة الشعيرة الحسينية في قلوب أئمة آل بيت العصمة والطهارة، وكيف أنها من أهم متطلبات المشروع الإسلامي الحق: روي عن الأئمة (عليهم الصلاة والسلام) روايات كثيرة في لزوم إحياء ذكر الحسين - عليه السلام -، منها ما روي عن الإمام أبي جعفر - عليه السلام - في حديث زيارة الحسين - عليه السلام - من قرب وبعد - قال: ثم ليندب الحسين - عليه السلام - ويبكيه ويأمر مَن في داره ممن لا يتقيه بالبكاء عليه، وليُعَزّ بعضهم بعضاً بمصابهم بالحسين - عليه السلام - وأنا ضامن لهم إذا فعلوا ذلك على الله (عز وجل) جميع ذلك - يعني ثواب ألفي حجة وألفي عمرة وألفي غزوة خلف النبي صلى الله عليه وآله - فقال أي الراوي -: أنت الضامن لهم ذلك والزعيم؟! قال صلى الله عليه وآله: أنا الضامن والزعيم لمن فعل ذلك.

ورُوي أن الأئمة - عليه السلام - كانوا يقيمون مجالس العزاء ويبكون ويأمرون بذلك ويحثّون عليه بالقول والفعل.

فقد رُوي انه ما ذُكِر الحسين - عليه السلام - عند أبي عبد الله - عليه السلام - - أي الصادق - في يوم قط فشوهد أبو عبد الله - عليه السلام - مُبتسِماً في ذلك اليوم إلى الليل، وكان - عليه السلام - يقول: الحسين - عليه السلام - عبرة كل مؤمن.

وروي انه أشرَفَ مولى لعلي بن الحسين - عليه السلام - وهو في سقيفة له ساجد يبكي، فقال له: يا مولاي يا علي بن الحسين أما آنَ لحزنك أن ينقضي؟

فرفع رأسه إليه وقال: ويلك - أو ثكلتك أمك - والله لقد شكى يعقوب إلى ربه في أقل مما رأيتُ حتى قال: (يَا أَسَفَى عَلَى يُوسُفَ) إنه فقد ابناً واحداً وأنا رأيت أبي وجماعة أهل بيتي يُذبحون حولي.

قال وكان علي بن الحسين - عليه السلام - يميل إلى ولد عقيل، فقيل له: ما بالك تميل إلى بني عمك هؤلاء دون آل جعفر؟

فقال: إني أذكر يومهم مع أبي عبد الله الحسين بن علي - عليه السلام - فأرق لهم.

وعن أبي هارون المكفوف قال: قال لي أبو عبد الله - عليه السلام - يا أبا هارون أنشدني في الحسين- عليه السلام -، قال فأنشدتُه فبكى، فقال: أنشدني كما تُنشدون - يعني بالرِّقة - قال: فأنشدتُه:

أمرر على جدث الحسين ... فقل لأعظمه الزكية

قال: فبكى، ثم قال: زدني، قال: فأنشدتُه القصيدة الأخرى، قال: فبكى، وسمعتُ البكاء من خلف الستر، قال: فلما فرغتُ قال لي:

يا أبا هارون من أنشد في الحسين - عليه السلام - شعراً فبكى وأبكى عشراً كُتِبت له الجنة، ومن أنشد في الحسين شعراً فبكى وأبكى خمسة كُتِبت له الجنة، ومَن أنشد في الحسين شعراً فبكى وأبكى واحداً كُتِبت لهما الجنة، ومن ذُكِر الحسين - عليه السلام - عنده فخرج من عينه من الدموع مقدار جناح ذباب كان ثوابه على الله ولم يرض له بدون الجنة.

وتعلمون أن هناك طرقاً عديدة لإحياء شعائر الحسين - عليه السلام - وإقامة العزاء، فينبغي أن نفعل كل أمرٍ يؤدي إلى هذا بشرط أن يكون مباحاً.

ويشمل هذا - أي ما يُحيي الشعائر وما ينبغي فعله - ضرب الصدور والضرب بالزنجيل والقامات وغيرها مما يمارسه شيعة أهل البيت - عليه السلام -.

نعم إذا كان هناك نفور في منطقة ما أو عدم قبول أو عدم تعقل لشيء من الوسائل والطرق المذكورة لجهلهم بأبعاد النهضة الحسينية المباركة، مما يؤدي إلى نفور أهلها من مبدأ الحسين - عليه السلام -، فيجب الابتعاد عن هذه الوسيلة بخصوصها وعدم فعلها في تلك المنطقة فقط إلى حين ارتفاع المانع.

ومن الشعائر الضرب على الصدور والزناجيل والتطبير، وإذا اعتقد الشخص أو ظن ظناً قوياً انه يوجب هلاكه وذهاب روحه أو إتلاف عضو منه فيجب حينئذ اجتنابه، أما إذا كان ذلك مجرد احتمال وأنه لا يحصل إلا نادراً فلا يجب الاجتناب عنه ولا يحرم، بل مع توفر شروطه يستحب بعنوان أنه إحياء لنهضته - عليه السلام - ويؤجر فاعله.

أما عن (شبهة التوقف عن إحياء ذكرى عاشوراء)، يقول سماحة المرجع (دام ظله): لا شك أن هناك من يعارض إحياء ذكرى الحسين - عليه السلام - ولكن هؤلاء صنفان:

الصنف الأول : أعداء الحسين - عليه السلام -.

هذا الصنف مما لا يخفى أمر معارضته لإحياء ذكر الحسين - عليه السلام - وما يترتب عليها، فهؤلاء لا يحبون أن يُذكر الحسين - عليه السلام - لأنه قد زُرِع في قلوبهم البغض والحقد لأهل البيت - عليه السلام - وحملتهم أعمالهم السيئة ونواياهم الخبيثة على حب قتلة الحسين - عليه السلام - والتعصب في الدفاع عنهم ولهذا لا يسمحون لهذه المجالس التي تقام لإحياء ذكراه - عليه السلام - بالاستمرار لأن فيها فضيحة أسيادهم وإظهار حقيقتهم وكشف زيف وكفر، وهؤلاء هم قتلة الحسين - عليه السلام - وأشياعهم.

ومما يشير إلى ذلك حادثة نقلها عمي الشيخ خادم الحسين عن أحدهم أنه أفتى بتحريم ذكر الحسين - عليه السلام - على المنبر من قبل الواعظ والخطيب، وعلل ذلك أي صاحب الفتوى بعدما سُئِل عن سبب التحريم بأنَّ ذكر الحسين يسبب التعرض لمثالب بعض الصحابة لأنه لما يذكر الخطيب أنَّ الحسين قُتِل، يتساءل السامع مَن قتل الحسين؟ ولماذا؟ ولمّا تُقرأ زيارة عاشوراء مثلاً يُتلى فيها (اللهم إلعن أول ظالم ظلم حق محمد وآل محمد...) فيسأل مَن هؤلاء الظلمة؟

ولما تُحيى ذِكرى الإمام الحسين - عليه السلام - تُضرب الصدور والرؤوس وتُشَق الجيوب ويُمشى على النار ويَقِف الشيعي ويبكي فيتساءل الناس لماذا يضرب هؤلاء صدورهم ورؤوسهم؟!

ولماذا يشقون ثيابهم؟!

ولماذا يبكون؟! إلى غير ذلك من التساؤلات.

فإذا أُجيب عنها يتضح للناس مدى ظلم وانحراف وفساد يزيد ومعاوية وابن زياد (لعنهم الله) وغيرهم من إضرابهم.

فهؤلاء ممن يدّعون الإسلام - من غير الشيعة - يتسترون بالإسلام لمنع الشعائر الحسينية، مع أنهم يعلمون أن هذه الشعائر هي التي حفظت وتحفظ الإسلام وأنها في خدمة الدين.

الصنف الثاني: بعض الجهلاء من الشيعة

هذا الصنف من المعارضين هم من شيعة أهل البيت - عليه السلام - ومع ذلك يعارضون الشعائر الحسينية وإحياءها، وهم الجهلاء الذين وقعوا في شبهه أو تظاهروا بالتشيع والحال إنهم من أعداء التشيع ويحاولون بإعتراضهم هذا إدخال الشك في قلوب الشيعة وإبعادهم عن هذه الشعائر.

هؤلاء يقولون كفى بكاءً! لقد مضى على واقعة الطف أربعة عشر قرناً، فهذا أمر وقع وانتهى.

ويقولون: إن إحياء هذه الشعائر تُوجب لعن الصحابة والتابعين وبالتالي التفريق بين السنة والشيعة! فلماذا لا نتركها كي نحقق الوحدة بين المسلمين؟

أقول: لو تنازلنا عن حقنا بإحياء ذكرى الإمام الحسين - عليه السلام - لأجل أن يتوحد معك غيرك، فهل يتنازل هو عن بعض مبادئه من أجل هذا الهدف؟!!

لماذا لا يتنازل الطرف الآخر؟! لماذا نحن الذين نقدم التنازلات دائماً مع أنها على حساب ديننا ومعتقداتنا؟!

وأيضاً إن كنتَ ترغب في الوحدة فلماذا تنادي بالوحدة بين المسلمين؟ لم لا تنادي بوحدة البشرية كلها نصارى ويهود وهندوس ... وبهذا تتحد كل البشرية؟!

بعض الجهلاء غرتهم بعض الأمور وتأثروا بها فصاروا في صف الذين يقفون ضد إحياء الشعائر.

يجب أن نتمسك بمبادئنا ومنها إحياء الشعائر ولا تؤثر علينا هذه الدعاوى والشعارات الكاذبة والمضللة، وأن نواجهها بشتى الوسائل الممكنة كالكتابة والخطابة والوعظ وخدمة المواكب وغيرها لتبقى ذكرى الحسين - عليه السلام - وتنتشر في جميع بقاع الأرض من دون أن نتنازل عن شيء منها.

واعلموا أن حديث الغدير الذي سمعه آلاف من الناس، بل عشرات الألوف سعى بعضٌ إلى عدم نشره وذكره في المجالس والكتب بدعوى أنه يوجب تشتيت الأمة وتفريق كلمتها - كما يزعمون - ، يريدون منا أن نسكت عن الغدير ونتغاضى عنه ونتجاهله، والآن يريدون أن نسكت عن الشعائر الحسينية وإحيائها، ولكنّا سنبقى إن شاء الله ساعين في إحيائها ولن نتنازل عنها إلى أن يظهر صاحب الحق (عجل الله فرجه الشريف) ويأخذ بثأره.

هيأة التحرير

رئيس التحرير
نصير الحسناوي
مدير التحرير
مهدي الفحام
سكرتير التحرير
علي الوائلي
التحرير
سجاد الفتلاوي
مصطفى القيسي
محمد الشرع
فراس التميمي
التصميم والاخراج الفني
بهاء الكناني
المصورون
كرار البرقعاوي
ساجد الوائلي
حسين الجبوري
التدقيق اللغوي
صلاح عبد المهدي الحلو
التوزيع
علاء عبد الحسين علي
التدوين
عباس شربة
ارشيف
فراس التميمي
التدقيق والمراجعة
اللجنة العلمية

العنوان:
جمهورية العراق/ النجف الأشرف
ص.ب: ٤٤ مكتب بريد النجف.
المحمول : ٠٧٨٠١٢٩٧٢١٨/ ٠٠٩٦٤
البريد الالكتروني: n@alnajafy.com
مكتب سماحة المرجع (دام ظله):
ص.ب: ٤٢ مكتب بريد النجف.
هاتف:
٠٠٩٦٤ /٣٣-٣٣٣٤٨٨

المحمول: ٠٠٩٦٤/٠٧٨٠١٠٤٧٥٨
فاكس: ٠٠٩٦٤ /٣٣ -٣٦٩١٧٢
البريد الالكتروني:
info @alnajafy.com

برعاية مكتب
سماحة آية الله العظمى المرجع
الديني الكبير الشيخ بشير حسين
النجفي (دام ظله)
info@ anwar-n.com

من فكر
سماحة المرجع(دام ظله)

ولاية أهل البيت

إن سبيل
أهل البيت- عليهم السلام - يبتدئ من الغدير

ويمر من عرصات كربلاء، وترسو السفينة على ساحل جود وليِّ الله الأعظم، فهنيئاً لنا جميعاً هذه الولاية نسأل الله أن يثبتنا عليها، ويرزقنا الالتزام بها، والبراءة من أعدائهم من الأولين والآخرين، واعلموا أيها الحسينيون ويا من اختارهم الله لخدمة الحسين ، إنكم إن التزمتم بتقوى الله فأنتم السادة يوم المحشر، وأنتم الذين تُمنحون الجنة بشفاعة الحسين، ويرزقكم وإيانا إن شاء زيارة شخصيته المقدسة، والنظر إلى محياه الشريف قبل أن نذوق كأساً مترعةً من حوض جده في الجنان . كما في رواية . وسننسى حين إذ كل الآلام التي عشناها ونعيشها في الدنيا بتصرفات أعدائه.

الحسين نهضة

كلمة العدد

رئيس التحرير
naseersamy@yahoo.com

من أهم المعاني التي تفرض نفسها لبيان أهمية وربما حتمية ما قام به الإمام الحسين (ع) في نهضته، معنيّي التضحية والتهلكة ـ أو إلقاء النفس بالتهلكة ـ فهما مفهومان متضادان يصعب اجتماعهما ووحدتهما معاً، ويمكن القول أن التضحية هي نتاج وعطاء ورفد وإسهام، أما الآخر فنتائجه مليئة بالسلب واللاعطاء. فكلما كانت الغاية أو الهدف ثميناً مقدساً أرتفع منسوب ورقي وكمال التضحية؛ وليس من ضير أن أربط هذه المعاني مع كُنه مفهوم الإنسانية أو الإنسان، أو أن أستعين بتعريف رائدة من رواد الماورائيات أو الباراسايكلوجيات، إذ تلخص تعريف الإنسان: بأنه الكائن الحي الذي ملأ الدنيا وشغل العالم باكتشافاته واختراعاته وابتكاراته التي فاقت حد التصور.. فهو ليس سوى روح تشع بأنوارها القدسية، وملكاتها العقلانية على الكون فتضيء معالمه، وتنور ظلماته، خارقة بفاعليتها وقدرتها جميع السجف والأستار.. أما الجسد الترابي فليس سوى رداء بالٍ تحبس فيه الروح إلى فترة معينة قدرها الله..

ولا أريد أن أقف عند الماورائية بقدر ما أريد أن أستنطق مفهوم التضحية في إطار آخر، وأن نكنه معنى الإنسانية.. وقبل هذا لابد أن يعلم إن الإقدام على الخطر هو مما يتنفر منه الجسد أولاً، ويتأمل به العقل ثانياً، ويزنه الشرع بنظام دقيق ثالثاً، وبتصفحنا لمصاديق التضحية والفداء لَمّ ولَنْ نجد بقعة كبقعة كربلاء، فثمة أقطاب حملت الإطلاق في كل شيء؛ أقدس شخص في ذاك الآن، وهو نفس أقدس ما خلق الله على الطبيعة دون منازع كيف لا وهو روح وريحانة رسول الله (ص)، ومعه أفضل آل وأصحاب، ويملك أنبل هدف (طلب الإصلاح في أمة خاتم الديانات)، وأمّا الآخر شر تجحفل في قيعان الرذيلة والخطيئة والانحطاط والخديعة، تجرد عن كل مفهوم للإنسانية، يهدف لهدم خاتم ديانات الإنسانية، ويروم لعهود حوت ترسبات البدع والتحريف والمراوغة.. فهاهنا ثنائية متنافرة متضادة تتصارعان بين أرث إنسان تكاملي بكل خطواته.. وبين قيعان الرذيلة والوحشية والهمجية والبربرية التي هي بالتأكيد أدون من الحيوان.

أما المجتمع ـ آن ذاك ـ وديموغرافيته؛ كان من المفروض أن يكون المبشر للدنيا بأسرها، ذلك بدينه الذي نقله من حقبة الجاهلية إلى حقبة النور، بيد أن العكس هو السائد؛ أمة أخذتها هالات الإعلان المناوئ للإسلام؛ شعرت بذلك أم لم تشعر، رموزها المنافقون، تعمل على ركود واندثار كل ما يمت للإنسانية والإسلام بصلة، بدأ ـ ذلك المجتمع ـ يجر أذياله نحو القهقرى بتسارع عجيب، ويستعيد مظاهر الجاهلية الأولى، فكان ولابد أن تكون الصدمة أو الصعقة أو الصرخة التي يرام منها إفاقة الأمة من سبات أفيون الشجرة الخبيثة بمقدارها بل إلى ما يمتد إلى ما شاء الله نحو عالمنا اليوم وإلى نحو أجيالنا غداً.. فكانت ملحمة الطفوف.. فهي حتم وضرورة لجلي الغبرة والضبابية عن معالمه وصفحاته النقية، فليس من المعقول أن يبايع سيد شباب أهل الجنة أخس خلق الله على الطبيعة! وأن يسكت عن بادئة وبادرة انتهاك الحُرم، ومن أحبهم رسول الله (ص)! واقع انتشرت فيه البدع والإساءة لكتاب الله وفرائضه! إذ أُقبع أكثر من (١٥) ألفاً من أمة الكوفيين في السجون وآخرين بين التشريد والنفي!..

وحسبي أن أثبتها ـ أي هذه القراءة ـ بوصف الإمام الحسين (ع): (إنّا أهل بيت النبوة ومعدن الرسالة ومختلف الملائكة بنا فتح الله و بنا ختم، ويزيد رجل فاسق شارب الخمر قاتل النفس المحترمة ومثلي لا يبايع مثله..).. فثمة حق شرعي والتزام اجتماعي تجاه أمة مضطهدة مظلومة، وحُجة على ناكثي العهود، وإسلام وقيم مهددة، ونظام حكم أخرق، وأمة مكبلة، وثروات بيد سراق، هذا من غير ما يتعرض له أتباع علي (ع) من ظلم وجور.. وهل ثمة تصريح أخطر مِن قول ابن آكلة الأكباد:

لعبت هاشم بالملك فلا خبر جاء ولا وحي نزل

ومن هنا أيضاً جاء حديث الإمام الحسين (ع): (شاء الله أن يراني قتيلاً، وأن يرى النساء سبايا)، فكان من الضروري أن يسلك أمر الله (عز وجل) وأن تقدم هذه التضحية، وأن نصل إلى أن نهضة الإمام الحسين (ع).. لتشع بدروسها وعبرها ومواقفها لمستوى لا تشبع منها تأملات العقول، ولا ترتوي منها دراسات الباحثين... فمهما كتب القلم فهو مطرق أمام هذه المدرسة العظيمة، ولكن (ما لا يدرك كُله لا يترك جله).